

ناشد حنا

اهداءات ٢٠٠٢

مكتبة الاخوة

٥ حقائق

عن

الإيمان المسيحى

ناشد حنا

طبعة ثانية

١٩٩٨

محتويات الكتاب

مقدمة

لا أقصد بهذا الكتّيب الصغير أن أتناول كل حقائق الإيمان المسيحى لأن هذا الموضوع أكبر بكثير من أن تسعه صفحات قليلة كهذه. ولكنى أقصد أن أضع فى أيدى من يريدون المعرفة ومن يرغبون فى التثبت فى الإيمان دون أن يكون لديهم الوقت الكافى للبحث المستفيض، أضع فى أيديهم خيوط الحق الإلهى ليرجعوا بعد ذلك إلى الكتاب المقدس الذى هو كلمة اللّه الحية الفعالة.

نحن لا نبنى إيماننا المسيحى على الأبحاث العلمية أو آراء الفلاسفة. فإن المصدر الوحيد لإيماننا هو اعلان الله عن ذاته فى الكتاب المقدس الذى أعطاه لنا موحى به منه لكى نعرفه ونحبه ونعبده، وتكون لنا به صلة وثيقة من الآن وإلى الأبد، لأنه هكذا شاء فى محبته ونعمته، إذ أن البشر أسمى مخلوقاته وقد أودع فيهم نسمة من عنده، خالدة لا تفنى بل تبقى إلى الأبد.

إننا نشكر الله لأجل الوحى والإعلان الإلهى، لأن ما لم يستطع العلماء والحكماء أن يدركوه أعلنه الله للبسطاء المخلصين كما قال المسيح له المجد «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال» (متى ١١ : ٢٥). وقد أفردت فى هذا الكتيب فصلاً خاصاً لإثبات وحى الكتاب المقدس وعدم وصول أى تحريف إليه.

وكما قلت إنه لا يمكنني في هذه العجالة، كما سبقت الإشارة أن أتناول كل حقائق الإيمان المسيحي، ولكني أقتصر على خمس حقائق رئيسية هي أن:

١-الله الواحد ثلاثة أقانيم.

٢-السيد المسيح هو ابن الله.

٣-السيد المسيح ليس انساناً نبياً فقط بل هو الله نفسه ظاهراً في الجسد.

٤-السيد المسيح، وهو الله ظاهراً في الجسد، مات مصلوباً.

٥-الكتاب المقدس موحى به كله من الله بعهديه القديم والجديد دون أن يصل إليه أي تحريف.

إني إذ أضع هذا الكتيب في أيدي القراء الأعزاء أرفع معه صلوات حارّة لله لكي يستخدمه لبركة كل نفس وراحة قلب كل متسائل.

أما من يريد أن يعارض أو يجادل فليس لنا شأن معه، ولكننا نتركه بين يدي الله العظيم الذي يستطيع وحده أن يصل إلى الضمائر والقلوب.

ناشد حنا

الفصل الأول

الله الواحد
ثلاثة أقانيم

قبل أن أدخل بكل خشوع واجلال إلى الكلام عن حقيقة الله عز وجل أرى لزاماً على أن أمهد لذلك بتأملات مختصرة عن وجود الله.

وجود الله

الله هو واجب الوجود ، أى لابد أن يكون موجوداً ، وإلا فمن خلق هذا العالم بنواميسه الدقيقة؟ ومن خلقنى أنا ؟ ولمن أنا مدين بوجودى وكيانى؟ ان الدليل على وجود الله موجود فى كيان الإنسان الكافر الذى يرفع عقيرته منكراً وجوده ، إذ فى داخله الضمير الذى هو صوت الله، وصوت الأبدية أيضاً فى قلبه كما هو مكتوب «صنع الله الكل حسناً فى وقته، وأيضاً جعل الأبدية فى قلبهم» (جامعة ٣:١١). وفى داخل الإنسان روح عاقل ليس موجود فى الحيوانات، مصدره الله ذاته كما هو مكتوب «ولكن فى الناس روحاً ونسمة القدير تعقلهم» (أيوب ٣٢:٨). وبسبب نسمة القدير فى الإنسان لا يشبعه العالم المادى كله، ولا يمكن أن يستريح قلبه أو يشبع إلا بالله. والغريزة الدينية قد وضعها الله فى الإنسان دون سائر المخلوقات، غريزة الرغبة فى التعبد وغريزة الشعور بالضعف، وبالحاجة إلى الاعتماد على قوة أعلى منه، خصوصاً أمام الأهوال، وأمام المجهول، وأمام الموت حيث يحس الإنسان بحقارته، فإذا تعرض للغرق أو للحريق مثلاً يصرخ لا شعورياً

« يارب » مستنجداً بمن هو أعلى وأقوى منه.

الفخارى يصنع الإناء الجميل الذى يتحدث عن دقة وبراعة صانعه، ولكن لا علاقة بين الإناء وبين صانعه. لكن الله صنعنا وهو دائم الاتصال بنا «إذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ. وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض. وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم. لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسوه فيجدوه مع أنه (هو) عن كل واحد منا ليس بعيداً. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد» (أعمال ١٧: ٢٥-٢٨).

ومن محبته للبشر أعلن ذاته لهم فى كتابه، وكلمهم «بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة» (عبرانيين ١: ١).

لا يوجد إنسان عاقل ينكر وجود الله ولكن «قال الجاهل فى قلبه ليس إله» (مزمور ١٤: ١)، أى أنه يحاول أن يغالط نفسه ويسكت صوت عقله، ويوجد سبب لهذا، يذكره الكتاب المقدس بعد هذه العبارة «فسدوا ورجسوا بأفعالهم». فالعلة ليست فى عقله لكن فى قلبه الذى يحب الفساد والرجس وصوت الضمير فى داخله يقول إن الله ديان لهذا الفساد. وكما تخفى النعامة رأسها فى الرمال لكى تبعد عن عينيها منظر الصياد، هكذا الجاهل يرى أن خير مهرب من الدينونة هو أن يقنع نفسه أنه «ليس إله».

ويشهد الكتاب المقدس أن الوثنيين لم يجهلوا وجود الله «اذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر. لأنهم لما

عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى. وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات. لذلك أسلمهم الله فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة» (رومية١:١٩-٢٤). فهم عرفوا الله ولكنهم لم يمجدوه، والسبب فى ذلك هو شهوات قلوبهم ونجاستهم. وقد قال أيوب عن مثل هؤلاء «فيقولون لله ابعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسرّ» (أيوب ٢١:١٤). فهم لا ينكرونه ولكن يبعدونه عن أنفسهم. أو يريدون أن يقطعوا قيوده ويطرحوا عنهم ربطه (مزمور٢:٣).

فالعقل السليم يستطيع أن يعرف وجود الله ولكنه يعجز عن معرفة ذاته وحقيقة كيانه وجوهره لأن العقل محدود، والله عظيم وغير محدود كما جاء فى سفر أيوب «أإلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهى؟ هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل؟ أعمق من الهاوية فماذا تدرى؟» (أيوب١١:٧). وأيضاً «عند الله جلال مرهب. القدير لا ندركه» (أيوب٣٧:٢٢، ٢٣). من هنا لزم الإعلان الإلهى. لأنه لو لم يعلن الله ذاته لنا ما كنا لنعرفه.

وقد سئل أحد علماء الصوفية «ما الدليل على الله؟» فقال «الله». ولما سئل «فما العقل؟» قال «العقل عاجز. والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله». وقال "ابن عطا": «العقل آلة للعبودية (أى للتعبد) وليس للإشراف على الربوبية» وهذا صحيح تماماً، لأننا نعبد الله بالروح وبالعقل «عبادة عقلية» (رومية١٢:١). ولكننا نعرفه بموجب الإعلان الإلهى، ونؤمن به بالقلب «إن

آمنت بقلبك» (رومية ١٠ : ٩). أما العقل فينحنى خاشعاً للإعلان الإلهى ولا يستطيع أن يعترض عليه لأنه ليس ضد العقل، بل هو أكبر منه ويسمو فوقه.

ولنأخذ مثلاً بسيطاً على عجز العقل المحدود عن ادراك الله غير المحدود. هل يستطيع العقل أن يدرك *"الأزل"*؟ ليرجع العقل إلى ملايين الملايين من السنين، هل يكون قد وصل إلى شئ من أبعاد الأزل؟ كلاً، لأن الأزل لا أبعاد له. وإذا ذهب الخيال إلى ملايين الملايين من السنين قبل التى وصل إليها أولاً، هل يكون قد وصل إلى شئ؟ كلا... وهكذا "الأبد". وما أصدق ما قاله أليهو «هوذا الله عظيم ولا نعرفه وعدد سنيه لا يفحص» (أيوب ٣٦ : ٢٦). لقد أعطانا الله العقل لنفهم به خليقة الله ولنعبد به الخالق بخشوع، ولكن إذا تطاولت عقولنا محاولة فحص الذات الإلهية فإننا نخسرها ونخسر أنفسنا.

ان الله هو خالقنا العظيم الذى أعطانا هذا الكيان الثلاثى العجيب المركب من الروح والنفس والجسد، هذا الكيان الذى لم نستطع للآن أن نحيط بكل أسراره ودقائقه، فمنذ القديم قد تفرغ بعض العلماء لدراسة الطب ووظائف أجهزة الجسم، وتفرغ آخرون لدراسة علم النفس، وآخرون لدراسة الروحيات وسر الحياة وما بعد الموت، وللآن كل هذه الدراسات مستمرة ومتجددة، وتكتشف الجديد دائما ولكنها تعترف كلها أنها لم تصل.

والله هو أيضاً خالق السموات والأرض وكل ما فيها، وواضع قوانينها وأسرارها وحافظ كيانها بكلمة قدرته، ومنذ القديم يوجد علماء تفرغوا لدراسة علم الفلك والكواكب والفضاء وآخرون لدراسة الجيولوجيا، وآخرون

للطبيعة والكيمياء، وآخرون للهندسة والرياضيات، وآخرون للنبات والحيوان، وغير هذه من العلوم بشتى فروعها. ومنهم من كرس حياته كلها لدراسة علم الحشرات، وعلم الطفيليات، والمخلوقات الدقيقة التى لا تُرى إلا بالمجهر الألكترونى، وجميعهم مع ما يصلون إليه من جديد يعترفون بأنهم لا يزالون على هامش المعرفة وعلى شاطئ المعرفة وعلى شاطئ محيط العلم.

فكم هو عظيم ذلك الخالق غير المحدود الذى يملأ السموات والأرض ولا تسعه سماء السموات، الأزلى الذى لا بداءة له، والأبدىَ لا نهاية له، غير المحدود فى قدرته وسلطانه، وفى علمه وحكمته، وفى كل شئ. أجل، هو أعظم من أن يحيط به عقل الإنسان المخلوق المحدود.

ولقد أوجد الله فى البشر غريزة دينية فأخذوا يتلمسون الله لعلهم يجدونه، ولكنه لم يجدوه لأن الشيطان أعمى أذهانهم والخطية أظلمت قلوبهم كما سبق القول. وهكذا جميع البشر بما فيهم الفلاسفة صنعوا لأنفسهم آلهة بحسب تصور عقولهم-أوثاناً أودعوا فيها صورة ما يظنون وما يتمنون أن يكون إلههم (انظروا رومية الأصحاح الأول)، ويبين الوحى الإلهى جهلهم بقوله عن الذى يصنع الوثن «نَجّرَ خشباً مدّ الخيط.. يصنعه بالأزاميل. وبالدوارة يرسمه. فيصنعه كشبه رجل كجمال انسان ليسكن فى البيت.. غرس سنوبرا والمطر ينميه.. ويأخذ منه ويتدفأ. يشعل أيضاً ويخبز خبزاً. ثم يصنع إلهاً فيسجد. قد صنعه صنماً وخرّ له. نصفه أحرقه بالنار. على نصفه يأكل لحماً. يشوى مشوياً ويشبع. يتدفأ أيضاً ويقول بخ قد تدفأت...

وبقيته قد صنعه إلهاً صنما لنفسه. يخر له ويسجد ويصلى إليه ويقول نجنى لأنك أنت إلهى» (إشعياء ٤٤:١٣-١٧).

أما الفلاسفة الذين لم يصنعوا لأنفسهم أوثاناً ليسجدوا لها إشباعاً لغريزتهم الدينية، فتساموا عن الأصنام المادية ورسموا فى خيالهم كائناً روحياً عظيماً جداً يجلس على عرش كبير ونسبوا إليه الوحدانية المطلقة. وهذه الوحدانية تتطلب أنه لا يتميز بمميزات، وليس له ماهية أو كيان أو صفة من الصفات. ورغبة فى تعظيمه بحسب فكرهم والمحافظة على وحدانيته نزّهوه عن كل شئ فى الوجود حتى عن العلم والبصر والسمع. ولكن إلهاً مثل هذا يكون وهماً لا حقيقة ويكون هو والعدم سواء، وذلك كالنقطة الهندسية الفرضية التى لا وجود لها، وإله خيالى مثل هذا لا يتصل بمخلوقاته ولا يراهم أو يسمعهم، هو والوثن سواء.

ولكن شكراً لله لأنه يوجد فلاسفة آخرون كثيرون رأوا أن تنزيه الله عن كل شئ يجرده من الكمال اللائق به، ولذلك وصلوا إلى أن وحدانية الله هى وحدانية جامعة، وأن كانوا قد تحيروا فى ادراكها. وهذه الحيرة طبيعية لأن الله فوق العقل المحدود كما أسلفنا القول. ولكننا اذا رمنا الحقيقة التى تستريح إليها نفوسنا وتطمئن بها قلوبنا، فلا يمكن أن نستمدها إلا من الله نفسه اذا كان قد شاء أن يعلن ذاته لنا، لأننا نحن لا نستطيع أن نصل إليه، أما هو فيستطيع أن يصل إلينا إذا شاء. وتبارك اسمه وتعالى لأنه شاء أن يعلن لنا ذاته وصفاته فى الكتاب المقدس الذى أوحى به إلينا.

وحدانية الله

يخبرنا الكتاب المقدس فى عهديه القديم والجديد أن الله واحد، لا إله إلا هو. ومجرد ذكر اسم «الله» بال التعريف دليل على وحدانيته. وإليك بعض الشواهد من الكتاب المقدس.

من العهد القديم: «فاعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الإله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل **ليس سواه**» (تثنية ٤:٣٩). «اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا رب **واحد**» (تثنية ٦:٤). «أنا الرب صانع كل شئ ناشر السموات وحدى باسط الأرض. من معى» (أشعياء ٤٤:٢٤). «أليس أنا الرب ولا إله آخر غيرى، **ليس سواى**» (إشعيا ٤٥:٢١). «أليس إله **واحد** خلقنا» (ملاخى ٢:١٠).

ومن العهد الجديد: «بالحق قلت لأنه الله **واحد**» (مرقس ١٢:٣٢). «المجد الذى من الإله **الواحد** لستم تطلبونه» (يوحنا ٥:٤٤). «لأن الله **واحد**» (رومية ٣:٣٠). «نعلم أن ليس إله آخر إلا **واحداً**» (كورنثوس الأولى ٨:٤) «لأنه يوجد إله واحد» (تيموثاوس الأولى ٢:٥). «أنت تؤمن أن الله **واحد**. حسناً تفعل» (يعقوب ٢:١٩).

نوع وحدانية الله

قبل أن أبيّن بالأدلة العقلية والنقلية والمنطقية النوع الوحيد للوحدانية التى تليق بالله جل جلاله، أرجع إلى الكتاب المقدس الذى اقتبسنا منه بعض

الآيات الدالة على وحدانية الله حيث نجد فيه صيغة الجمع فى اسم الله عز وجل؛ تلك الصيغة التى وردت فى العهد القديم نحو ثلاثة آلاف مرة، فضلاً عن العبارات الكثيرة الواضحة التى نجد فيها لا ما يفيد الجمع فقط بل الثالوث بالتحديد. وإليك بعض الشواهد الكتابية من العهد القديم :

أول آية فى الكتاب المقدس هى «فى البدء خلق الله (**ايلوهيم** بصيغة الجمع) السماوات والأرض» وفى عدد ٢٦ من نفس الأصحاح يقول الله «نعمل الإنسان على *صورتنا كشبهنا*».

وفى عدد ٢٢ من الأصحاح الثالث يقول الله «هوذا الإنسان قد صار كواحد **منا**» وقوله تعالى كواحد يدل على وجود أقانيم فى اللاهوت. وفى العدد السابع من الأصحاح الحادى عشر يقول الله «هلم *ننزل* ونبلبل هناك لسانهم» .

وفى مزمور ٤٥:٦ ، ٧ نقرأ «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور (وذلك عن الابن)» (عبرانيين ١ :٨) من أجل ذلك مسحك الله إلهك (عن الآب) بدهن الابتهاج». وهنا نرى الآب والابن.

وفى المزمور الثانى نجد الله الآب الماسح، والله الابن الممسوح، والروح القدس المسحة «لكم مسحة من القدوس»(١ يوحنا ٢ : ٢٠)، فنقرأ قول الآب عن الابن «أما أنا فقد مسحت ملكى» (مزمور ٢ : ٦). وقول الابن عن الآب «قال لى أنت ابنى» (ع٧). وقول الروح القدس عن الابن «اعبدوا الرب بخوف.. قبلوا الابن لئلا يغضب» (ع ١١ ، ١٢).

وفى مزمور ١١٠ نقرأ «قال الرب لربى» وهنا نرى الآب والابن. وفى

إشعياء ٦:٨ نقرأ «من أرسل (بالمفرد) ومن يذهب من أجلنا (بالجمع)».

وفى إشعياء ٤٨: ١٢. ١٦ نقرأ «أنا هو الأول وأنا الآخر (الابن)... منذ وجوده (الآب) أنا هناك (الابن). والآن السيد الرب (الآب) أرسلنى (الابن) وروحه (الروح القدس)». وهنا نرى ثالوثاً فى اللاهوت.

ثم إليك هذه الشواهد من العهد الجديد:نقرأ فى متى ٣: ١٦. ١٧ أن الرب يسوع له المجد عندما اعتمد من يوحنا فى نهر الأردن انفتحت له السموات وأتى عليه الروح القدس «نازلاً مثل حمامة. وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» وهنا أيضاً نرى الأقانيم الثلاثة.

ونقرأ فى متى ٢٨: ١٩ قول الرب يسوع لتلاميذه «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم *باسم* الآب والابن والروح والقدس» فنجد هنا أقانيم اللاهوت الثلاثة ونلاحظ أن الرب يسوع يقول "باسم" لا "بأسماء"؛ لأن الثلاثة هم واحد، الله الواحد.

ونقرأ فى إنجيل يوحنا ١٤: ١٦. ١٧. ٢٦ «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق» وهنا نجد الأقانيم الثلاثة.

ونقرأ فى كورنثوس الثانية ١٣: ١٤ «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس» وهنا نرى الأقانيم الثلاثة.

ونقرأ فى غلاطية ٤: ٦ «بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب»، وهنا نرى الأقانيم الثلاثة. وكذلك فى أفسس ٢: ١٨

حيث نقرأ «لأن به (*المسيح*) لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى *الآب*» وكذلك نقرأ في رسالة يهوذا عدد ٢٠ «مصلين في *الروح القدس*، واحفظوا أنفسكم في محبة الله (*الآب*) منتظرين رحمة *ربنا* يسوع *المسيح*».

ولأن الله بثالوث أقانيمه هو إله واحد، لذلك عندما يذكر الكتاب المقدس أقنومين أو أكثر لا يأتي بالفعل في صيغة المثنى أو الجمع بل في صيغة المفرد. مثال ذلك قوله «والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدي (بالمفرد) طريقنا» (تسالونيكي الأولى ٣:١١). وأيضاً «وربنا نفسه يسوع المسيح، والله أبونا يعزي (بالمفرد) قلوبكم» (تسالونيكي الثانية ٢:١٦). ونلاحظ في هذه الآية تقدم ذكر الابن عن الآب لأن الأقانيم الثلاثة واحد في اللاهوت. ومن الخطأ أن نقول:الأقنوم الأول، والثاني، والثالث. نقرأ أيضاً «صارت ممالك العالم لربنا (الآب) ومسيحه (الابن) فسيملك (بالمفرد) إلى أبد الآبدين» (رؤيا ١١:١٥). وأيضاً «وعرش الله والخروف (المسيح الفادي) يكون فيها (عرش واحد) وعبيده يخدمونه (بالمفرد)» (رؤيا ٢٢:٣).

الثالوث الأقدس

مما تقدم نرى أن الله أعلن ذاته في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، إلهاً واحداً، لا نظير له، ولا شريك؛ في ثلاثة أقانيم الثالوث الأقداس: الآب والابن والروح القدس. الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله؛ لا ثلاثة آلهة بل إلهاً واحداً، ذاتاً واحدة، جوهراً واحداً، لاهوتاً واحداً. ولكن

ثلاثة أقانيم متحدين بغير امتزاج، ومتميزين بغير انفصال. وكل أقنوم أزلي، أبدى، غير محدود، لا يتحيز بمكان أو زمان، كلى العلم، كلى القدرة، كلى السلطان، لأن الأقانيم ذات واحدة.

وكلمة «أقانيم» كلمة سريانية، وهى الوحيدة فى كل لغات العالم التى تستطيع أن تعطى هذا المعنى؛ أى تميزاً مع عدم الانفصال أو الاستقلال. لأنه بما أن الله لا شبيه له بين كل الكائنات، وبما أن لغات البشر إنما تصف الكائنات المحدودة، فلا توجد فيها كلمة تعطينا وصفاً للذات الإلهية بحسب الإعلان الإلهى. وبهذه المناسبة أقول إنه لا يجوز بالمرة تشبيه الله الواحد من جهة أقانيمه الثلاثة بتشبيهات من الكائنات كالشمس وغيرها، لأن كل الكائنات محدودة ومركبة؛ والله غير محدود ولا تركيب فيه وقد استعملت بعض اللغات كالانجليزية كلمة «شخص» للتعبير عن الأقنوم ولكن كل شخص كائن مركب والله لا تركيب فيه، والأشخاص المتميزون منفصلون، ومهما تماثلوا لا يمكن أن يتعادلوا تماماً أو يتحدوا. أما كلمة أقانيم فتعنى شخصيات متميزة، ولكن متحدة «بغير امتزاج» وهم ذات واحدة. وربما تكون أقرب كلمة عربية لمدلول الأقانيم هى كلمة «تعينات». وقد تبدو هذه الحقيقة معقدة فعلاً وصعبة الاستيعاب، ولكن أليس هذا دليلاً واضحاً على صحتها وعلى أن الله نفسه هو الذى أعلن ذاته بها؟ لأن الانسان إذا أراد أن يزيف إيماناً أو يصنعه، فإنما يصنعه وفق الفطرة البشرية وفى مستوى العقل ليسهل قبوله واستيعابه. أما إذا كان الأمر خاصاً بحقيقة الله غير المحدود فلابد أن يكون الإعلان كبيراً فوق الفهم الطبيعى، وأسمى من العقل ولكن لا

يتعارض معه، ليكون المجال لقبول الإعلان الإلهى، للإيمان ولنور الله فى القلب، كمايقول الكتاب المقدس أن «الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه (أى فى ما لروح الله) روحياً» (رسالة كورنثوس الأولى ٢: ١٤).

فالإيمان بإعلان الله عن ذاته ثالوثاً، وإن كان يبدو صعباً، ولكنه معقول، بل هو المعقول، لأننا سبق أن رأينا أن الوحدانية المطلقة لا تليق بالله؛ لأنها تقتضى تنزيهه عن الصفات والعلاقات، ولكن بما أن الله ذات فهو يتصف بصفات وله علاقات. ولكن بما أنه وحده الأزلى فلم يكن غيره فى الأزل ليمارس معه الصفات والعلاقات. وبناء عليه تكون صفاته وعلاقاته عاطلة فى الأزل ثم صارت عاملة بعد خلق الكائنات، وحاشا أن يكون الأمر كذلك لأن الله منزه عن التغير، وهو مكتف بذاته، مستغن عن مخلوقاته. إذاً، لابد أن الله كان يمارس علاقاته وصفاته فى الأزل مع ذاته لأنه لا شريك له ولا تركيب فيه. ولابد فى هذه الحالة من الاعتراف بأن وحدانيته جامعة؛ أى جامعة لتعينات الذات الواحدة، لأن من لا تعين له لا وجود له.

ولا تناقض بين الوحدانية والتعينات، لأن الله واحد فى جوهره وجامع فى تعيناته، لأنه يمارس صفاته وعلاقاته مع ذاته بالفعل منذ الأزل، مع تعيناته وليس مع صفاته لأن الصفات معانٍ وليست تعينات عاقلة يمكن التعامل معها. فلا يقال مثلاً إن الله كان فى الأزل يكلم صفاته ويسمعها ويبصرها ويحبها، أو إن صفاته كانت تكلمه وتبصره وتحبه، ولكن نقرأ فى الكتاب

المقدس أن الابن يحب الآب، والآب يحب الابن، قبل إنشاء العالم، والروح القدس هو «روح المحبة». وكانت هناك مشورة في الأزل بين الأقانيم الثلاثة.

ولابد من الإقرار بتعينات الله وإلا جعلناه جوهراً غامضاً لا يمكن الاتصال به أو معرفة شئ عنه بينما يتفق الجميع على أنه تكلم مع موسى ومع ابراهيم وأظهر ذاته للأنبياء. ووجود التعينات في الله لا يمس وحدانيته كما قلنا لأن التعينات هم ذات الله وليسوا أجزاء من ذاته، حاشا. بل هم ذات واحدة، جوهر واحد، لاهوت واحد.

لا شك أن هذه الحقيقة فوق الإدراك البشرى لأنه لا شبيه لهذه الوحدانية في الكائنات المنظورة، ولكن هذه الحقيقة لا تتعارض مع العقل ولا يرفضها المنطق، كيف نستصعب أن ندرك أن الله واحد ولكنه مثلث الأقانيم بينما نقبل بسهولة أن الإنسان واحد وهو مثلث الكيان، روح ونفس وجسد، روح تعقل ونفس تحسّ وتشعر وجسد يتحرك، أما الحيوان فليس له الروح العاقل فهو نفس وجسد فقط ونفسه في دمه ويتلاشى بموته (لاويين ١٧ : ١١)، أما نفس الإنسان فهي خالدة. قال الرب يسوع لتلاميذه لكي يشجعهم على الشهادة والاستشهاد من أجله «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها» (متى ١٠ : ٢٨). فالإنسان لا يستطيع أن يقتل النفس لحظة واحدة، وحتى الجسد الذى قتله لا يستطيع أن يمنعه من القيامة.

عقيدة الثالوث ليست مقتبسة من الوثنية

يقول البعض - إما عن عدم درس وفهم أو عن سوء نية بغرض التضليل - يقولون إن عقيدة الثالوث كانت موجودة عند الوثنيين فى الهند، وكانوا يطلقون على إلههم المثلث: براهما، وفشنو، وسيفا. ويقولون إن البوذيين كانوا يعتقدون أن بوذا ذو ثلاثة أقانيم: الأول والوسط والآخر. وإن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بآلهة ثلاثية: الأولى أمون، وكونس، وموت؛ والثانية:أوزوريس، وايزيس، وحورس؛ والثالثة:خنوم، وساتيت، وعنقت. وإن الأول من كل مجموعة هو الآب والثانى هو الابن والثالث هو الروح القدس كما هو الحال عند المسيحيين. ويقولون إن البابليين والفرس والصينيين كانوا يعتنقون مثل هذه العقيدة.

والواقع أن كل هذه الأقوال هراء فى هراء وليس لها أى نصيب من الصحة. وهى تقال لتضليل غير الدارسين. ولكن بالدرس الدقيق لتلك الديانات يتضح أن براهما وفشنو وسيفا عند الهنود ثلاثة آلهة مختلفون عن بعضهم تماماً. أما بوذا فكان رجلاً عادياً عاش فى الهند حوالى سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وكانت له تعاليم معينة. أما آلهة المصريين فهى لا تنص على أن كل مجموعة من آلهتهم إله واحد بل ثلاثة آلهة مختلفون عن بعضهم تماماً فكانوا يمثلون أمون برجل وكونس (أو خنسو) بالقمر، وموت بأنثى النسر، وأوزوريس برجل، وايزيس بأمرأة، وحورس بالصقر، وخنوم بالكبش، وساتيت بامرأة هي زوجته الأولى، وعنقت زوجته الثانية. ولا مجال هنا للكلام عن الأوثان الاخرى عند البابليين والفرس وغيرهم.

تميز الأقانيم

أقانيم اللاهوت الثلاثة متحدون فى الجوهر واللاهوت، ولكل أقنوم كامل صفات اللاهوت، أى أزلى وأبدى وغير محدود وكلى القدرة والعلم والسلطان والقداسة، ولكن الأقانيم متميزون، أى أن لكل أقنوم بعض أعمال خاصة لا تستطيع أن ننسبها إلى الأقنومين الآخرين، فهناك تميز واتحاد ، ولكن ليس هناك امتزاج؛ أى لا نستطيع أن نقول أن الابن هو الآب ولا الآب هو الابن، مع أن الابن والآب واحد.

وواضح جداً من الكتاب أن أقنوم الابن هو الذى جاء إلى العالم متجسداً مُرسَلاً من الآب ليتمم عمل الفداء بموته الكفارى على الصليب، فمكتوب «فى هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١يوحنا ٤: ١٠) و«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦) «ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة» (غلاطية ٤: ٤). والابن يقول «خرجت من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يوحنا ١٦: ٢٨). فالآب هو الذى أرسل الابن، وهو الذى بذله لأجلنا وهو الذى قدمه كفارة عن خطايانا. والابن هو الذى خرج مولوداً من عذراء، وهو الذى مات على الصليب حاملاً قصاص خطايانا. ولا نستطيع أن ننسب إلى الابن ما اختص به الآب. ولا ننسب إلى الآب ما اختص به الابن فنقول مثلاً إن الآب تجسد وأتى إلى العالم

مولوداً ومات على الصليب. هذا خطأ محض لأن الذى تجسد هو أقنوم الابن فقط. ولا يجوز أن نقع فى هذا الخلط فى الكلام أو فى الصلاة.

والروح القدس جاء إلى العالم فى يوم الخمسين مُرسَلاً من الآب والابن، جاء غير متجسد ليشهد للابن وليسكن فى جميع المؤمنين - بعد أن ولدهم ولادة ثانية - فى كل الأجيال وفى كل مكان فى العالم، وهذا دليل على لاهوته غير المحدود الذى لا يتحيز بمكان أو زمان.

ومن اختصاص الابن أيضاً أن يدين الأشرار، الأحياء والأموات لأنه هو الذى أكمل الفداء على الصليب. ومما يبين هذا التميز بوضوح قول الوحى «الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب» (يوحنا ٥:٢٢).

ومن سخف القول أن هذا التميز يعنى انقساماً أو تجزيئاً فى اللاهوت، وسبق أن أوضحنا الرد على هذا الاعتراض لأن اللاهوت واحد غير محدود لا يُدرَك ولا ينقسم لأنه لا تركيب فيه. ولكن التميز هو فى الأقانيم أو تعينات الله المتحدة فى الجوهر بغير انقسام أو امتزاج.

ومن سخف القول أيضاً إنه إذا كان الله قد تجسد ونزل من السماء إلى هذا العالم فهل كانت السماء خالية فى مدة التجسد؟ ومن الذى كان يدير الكون فى تلك المدة؟ فواضح أن الذى تجسد هو أقنوم الابن الذى شهد عنه الآب من السماء أكثر من مرة قائلاً «هذا هو ابنى الحبيب» (متى ٣:١٧، ١٧:٥) وحتى بالنسبة لأقنوم الابن الذى تجسد فإنه بلاهوته لم يترك السماء،

ولم يكن يخلو منه مكان كقوله لنيقوديموس «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣:١٣). ومن الخطأ تطبيق ما للكائنات المحدودة، التى تقع تحت حسّنا وبصرنا، على الله غير المحدود الذى لا يتحيز بمكان أو زمان من الأزل وإلى الأبد، وبتطبيق أقيسة المحدود على الله غير المحدود.

طبيعة الله

تكلمنا فيما سلف عن جوهر الله، لاهوته، وعن صفات الله، وأعماله، ونضيف هنا كلمة مختصرة عن طبيعة الله.

يخبرنا الكتاب المقدس فى رسالة يوحنا الرسول الأولى عن طبيعة الله قائلاً «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (١:٥). وفى أصحاح ٤ يقول مرتين «الله محبة» (ع ٨، ١٦). ليست هاتان صفتين لله بل هما طبيعة الله: نور؛ يتضمن القداسة والحق والبر، ومحبة؛ وتتضمن الرحمة والرأفة والنعمة والحنان... إلخ. ولا يمكن أن الله عز وجل يعمل عملاً إلا إذا كان متوافقاً مع طبيعته فى الناحيتين.

التزام حدود المكتوب

عندما نتأمل فى حقيقة الله غير المحدود وغيرالمدرك، فى جوهره، وأقانيمه، وطبيعته، وصفاته؛ يجب أن نحرص كل الحرص على التزام حدود الإعلان الإلهى بكل دقة، وأن لا نرتئى فوق ما هو مكتوب أو نضيف أى شئ من

أنفسنا، لئلا يضل العقل فى متاهات الخيال، سيما وأن الشيطان لنا بالمرصاد ليوقعنا فى حبائل الكفر أو المساس بجلال الذات القدسية بأى شكل من الأشكال.

ونحن نشكر الله لأننا مارسنا إيماننا عملياً ونلنا اليقين بالغفران والتبرير والخلاص، واطمأنت قلوبنا إلى مصيرنا الأبدى السعيد فى المجد على أساس موت المسيح لأجلنا، واحتماله دينونة خطايانا على الصليب. كما أن نفوسنا امتلأت هناء واكتفاء، عبّر عنه بعض المؤمنين بقولهم «لا يعوزنى شئ»، وأيضاً «من لى فى السماء ومعك لا أريد شيئاً فى الأرض»، وأيضاً «قلت للرب أنت سيدى خيرى لا شئ غيرك» (مزامير ٢٣ . ٧٣ . ١٦) وأيضاً «يسوع المسيح الذى وان لم تروه تحبونه.. وتؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد» (بطرس الأولى١ :٨).

ثم أن الإيمان القلبى الحى يثمر أعمالاً صالحة فى الحياة العملية «وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف» (غلاطية ٥ :٢٢ . ٢٣). وهو أيضاً يعطى للمؤمن النصرة على الخطايا والشهوات، ومحبة المال والماديات ويجعله يسلك سلوكاً سماوياً وهو على الأرض.

هذا وقد اختبرنا إلهنا الذى نؤمن به، بكيفية لا يسهل علينا التعبير عنها إلا بأن نقول للآخرين «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مزمور ٣٤ :٨) فمع أن الله عظيم بلا حدود، ويدير الأكوان، إلا أنه يسمع صلوات المؤمنين به، وينقذهم من كل ضيقاتهم ويهتم بدقائق أمورهم، لدرجة أن قال المسيح

«وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (متى ١٠: ٣٠).

ونجد القول المشجع «لا تخف» فى الكتاب المقدس بمعدل مرة لكل يوم من أيام السنة تقريباً ونجد أقوالاً كثيرة أخرى مثل «لا تهتموا بشئ بل فى كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع» (فيلبى ٤: ٦، ٧). وأيضاً «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتنى بكم» (بطرس الأولى ٥: ٧).

كما أن المؤمن عندما يدخل روحياً ليسجد فى مقادس الله، فى شركة عميقة معه، يختبر لذة وسعادة تفوق كل وصف ولذلك يقول أحدهم «تشتاق بل تتوق نفسى إلى ديار الرب، قلبى ولحمى يهتفان بالإله الحى» (مزمور ٨٤: ٢). ويقول داود النبى والملك «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرس فى هيكله» (مزمور ٢٧: ٤). ويقول أيضاً «أمامك شبع سرور» (مزمور ١٦: ١١). وأيضاً «كما من شحم ودسم تشبع نفسى وبشفتى الابتهاج يسبحك فمى» (مزمور ٦٣: ٥).

حذار أيها الصديق العزيز أن تكتفى بأن تكون مسيحياً بالاسم فقط، دون أن تختبر الحياة الجديدة فى المسيح، وسكنى الروح القدس فيك. إن الإيمان الذى لا يجدد الحياة، ويغير السلوك، ويفتح القلب للمسيح ليحل فيه ويملأه، هو إيمان فارغ وميت لا يغنى شيئاً، بل هو شبيه بمصباح لا زيت

فيه ولا نور له، أو كغصن جاف لا حياة فيه ولا ثمر له.

أدعوك أيها الصديق الآن أن تأتى بقلبك إلى المسيح فيخلصك من كل خطاياك ومشاكلك، ويسعدك حاضراً وأبدياً. فقد قال بفمه الكريم، «تعالوا إليّا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم» (متى ١١:٢٨).

الفصل الثانى

ما معنى أن
المسيح هو ابن الله

رأينا في الفصل السابق أن الله الواحد ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس، فالابن أقنوم إلهي أزلي. وموضوعنا الآن هو اسم «الابن» وما يُقصَد به، وهذا نجده مُعلَناً بوضوح في عدة فصول في الكتاب المقدس. وقبل كل شئ يجب أن نستبعد من أذهاننا بالتمام فكرة الولادة؛ فالابن ليس مولوداً من الله في الأزل؛ لا ولادة روحية ولا طبيعية كما هو موجود في بعض الديانات الوثنية كديانة قدماء المصريين وغيرهم حيث يوجد إلهات زوجات للآلهة وبناء عليه يوجد أبناء للآلهة، وهذا ما يعترض عليه البعض، أن يكون لله ابن من "صاحبة" وهو ما ترفضه المسيحية تماماً. فالمسيحية بعيدة كل البعد، وسامية كل السمو عن هذا التفكير، إذ هي روحية من كل الوجوه في عبادتها «نعبد الله بالروح.. ولا نتكل على الجسد» (فيلبي ٣:٣)، وسلوكها بالروح «اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد» (غلاطية ٥ :١٦)، وبركاتها «روحية في السماويات» (أفسس ١ :٣)، والتمتعات الموعود بها المؤمنون تمتعات روحية سماوية لا أرضية. وكذلك بنوة الابن الأزلية بنوة روحية فريدة تدل على المحبة، والمقام، والمعادلة للآب، واعلان مجده وصفاته.

فأقنوم الابن هو المعلن لله الذي لا يمكن أن يعلنه سواه «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب «أي موضوع محبته»، «ابن

محبته» (كولوسى ١:١٣) «هو خبّر (أى أعلن) » (يوحنا ١:١٨). فالله الذى لا يمكن رؤيته يصبح من الميسور لنا رؤيته ومعرفته فى أقنوم الابن «الله الذى ظهر فى الجسد» (تيموثاوس الأولى ٣:١٦). «لإنارة معرفة مجد الله فى فى وجه يسوع المسيح» (كورنثوس الثانية ٤:٦) «بهاء مجده ورسم جوهره» (عبرانيين ١:٣). وهو «صورة الله» (كولوسى ١ :١٥) لذلك قال لفيلبس «الذى رآنى فقد رأى الآب.. صدقونى أنى فى الآب والآب فى» (يوحنا ١٤:٩. ١١).

ومدلول اسم «الابن» فى إعلانه للآب كمدلول «الكلمة» من حيث إعلان الله، فنقرأ «فى البدء (الأزل) كان الكلمة... وكان الكلمة الله» ثم نقرأ «والكلمة صار جسداً وحل بيننا (لكى يعلن الله) » (يوحنا ١:١ ,١٤).

وبنوة المسيح شهد بها الكتاب فى العهد القديم أيضاً. وأول إعلان عن ذلك تجده فى المزمور الثانى مرتين حيث نقرأ «قال لى أنت ابنى» وأيضاً «قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق» (عدد ٧. ١٢) ثم فى (أمثال ٣٠:٤) «ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت». وكان اليهود يعرفون أن البنوة تعنى المعادلة لله، لذلك أرادوا أن يقتلوا المسيح لأنه قال «إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله» (يوحنا ٥:١٨). ومرة أخرى عندما قال «أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى» تناولوا حجارة ليرجموه قائلين «وأنت انسان تجعل نفسك إلهاً (الله) لأنه قال أبى» (يوحنا ١٠:٣١-٣٣). وقال له رئيس الكهنة عند محاكمته «أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو» (مرقس ١٤:٦١. ٦٢).

وقد ورد اسم «الابن» فى الكتاب المقدس أربعين مرة بخلاف ما ذكر مضافاً إلى الضمائر كقول الله «ابنى» وقول الوحى «أرسل ابنه»، وذكرت كلمة الابن الوحيد خمس مرات فى انجيل يوحنا وفى رسالته الأولى. ولسمو مقام الابن ومعادلته للآب بقول الرسول يوحنا «كل من ينكر الابن ليس له الآب ايضاً. ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً» (يوحنا الأولى ٢:٢٣). ويقول الله فى المزمور الثانى «أنت ابنى» أزلياً بلا بدء ولا كيفية لهذه البنوة، لا ولادة ولا خلق. ثم يقول «أنا اليوم ولدتك» وذلك بالتجسد مولوداً من العذراء مريم. وقوله «أنت ابنى» قبل قوله «أنا اليوم ولدتك» دليل على وجوده أزلياً قبل التجسد. ونجد هذا أيضاً فى القول «لمّا جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً» (غلاطية ٤ :٤)، وأيضاً «أرسل الله ابنه فى شبه جسد الخطية» أى فى جسد مثلنا ولكن خال من الخطية (رومية ٨:٣).

فللمسيح اذاً بنوتان: البنوة الأزلية التى تكلمنا عنها، وبنوته فى الزمان بولادته من العذراء مريم حيث نقرأ قول الملاك جبرائيل لمريم «الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك ايضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لوقا ١ : ٣٥). وهذه البنوة تختلف عن بنوة كل البشر والملائكة لله كمخلوقاته، وتختلف أيضاً عن بنوة المؤمنين الروحية له كمن أخذوا طبيعته الأدبية « كل من يصنع البر مولود منه» (يوحنا الأولى ٢:٢٩). ولذلك يُدعى المسيح «ابن الله الوحيد»، وأيضاً «ابن واحداً حبيباً إليه» (مرقس ١٢:٦). أما عن المؤمنين فيُقال «أبناء كثيرين» (عبرانيين ٢ : ١٠) ولا يقول المسيح لتلاميذه: أصعد إلى أبينا، بل «إلى أبى وأبيكم» (يوحنا ٢٠:١٧)

لأن بنوته متميزة، والمؤمنون يُدعَون «أولاد الله» (يو ١ :١٢ . ١يو ٣ :١ . ٢) وأيضاً «أبناء الله» (غلا ٣ :٦)، أما المسيح فيقال له «ابن الله» فقط، فلا يقال الوالد والولد، بل «الآب والابن». والمسيح وحده هو الذى يدعى «ابن الآب» (رسالة يوحنا الثانية عدد ٣) لأن بنوته للآب أزلية «قبل كون العالم» (يوحنا ١٧ :٥).

ونلخص فيما يلى بعض معانى بنوة الابن للآب؛ فهى تدل على:

١- **المحبة الأزلية الفريدة** (يوحنا ٥ :٢٠ . ١٧ :٢٤، كولوسى ١ :١٣، رسالة يوحنا الثانية ٣)

٢- **الوحدة فى الصورة الإلهية** (كورنثوس الثانية ٤ :٤، فيلبى ٢ :٦، كولوسى ١ :١٥، عبرانيين ١ :٣، يوحنا ١٤ :٩).

٣- **المعادلة لله** (يوحنا ٥ :٧ . ١٠ :٣٣).

٤- **الوحدانية فى جوهر اللاهوت** «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠ :٣٠).

٥- **المقام الإلهى** (يوحنا ٥ :٢٣، رسالة يوحنا الأولى ٢ :٢٣).

٦- **أنها وحدانية فريدة لا مثيل لها** (يوحنا ١ :١٨).

٧- **أنها وحدة سرية فائقة** «ليس أحد يعرف الابن إلا الآب» (متى ١١ :٢٧).

الفصل الثالث

المسيح ليس نبياً مرسلاً فقط
بل هو الله ظاهراً فى الجسد

أوضحنا في الفصل الأول أن الله ثلاثة أقانيم، الآب والابن والروح القدس. وأوضحنا في الفصل الثاني أن الابن هو الأقنوم الإلهي الذي أعلن الله ولم يكن ممكناً أن يعلنه سواه لأنه «المعادل لله»، بل هو «صورة الله»، «ورسم جوهره». وفي هذين الفصلين، بما فيهما من أدلة كثيرة، كل الكفاية لاثبات لاهوت الابن. ولكننا نريد في هذا الفصل أن تبين بنوع خاص أن المسيح، الذي ولد من العذراء مريم، «صائراً في شبه الناس»، وعاش هنا على الأرض «في الهيئة كانسان»، فجاع، وعطش، وتعب من السفر، ونام في السفينة، وأهين من البشر؛ هو نفسه الذي «حل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً» فكان بناسوته متحيزاً، وبلاهوته يملأ السماء والأرض، متحداً مع الآب والروح القدس. وهذا سر شخصه الفائق «الذي لا يعرفه إلا الآب» (متى ١١:٢٧)، وهذا سر عظيم «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (تيموثاوس الأولى ٣:١٦).

لو أن المسيحيين أرادوا أن يتفادوا هذه المشكلة العويصة لكان من اليسير عليهم أن يقولوا إن المسيح كان نبياً مرسلاً من الله أو إنه أفضل الأنبياء والمرسلين، ولا يقولون إنه هو الله نفسه جاء إلى هذا العالم. ولكن ليس الأمر بيدهم لأنهم لم يصوغوا إيمانهم لأنفسهم بل قبلوه من الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس، وهو إعلان صادق (كما سنبين في الفصل

الخامس)؛ سواء استطعنا أن نستوعبه أم لم نستطع. ولكن شكراً لله لأنه مقبول بالإيمان، بل ومعقول ويملأ القلب راحة وسلاماً.

إن الصعوبة الكبرى تتجسم أمام الذين ينظرون إلى أن ولادة المسيح هي بدء وجوده كأي إنسان آخر، بينما لو أمعنوا النظر لرأوا أن نفس ولادته بالجسد لم تكن ولادة عادية كسائر البشر، بل كانت من عذراء لم يمسسها رجل. ولم يتكون جسده الطاهر من زرع بشر بل من روح الله كقوله الكريم «هيأت لى جسداً». فالنظرة الصحيحة هى أنه أقنوم الهى كائن منذ الأزل، ولكنه فى الوقت المعين اتخذ ناسوتاً طاهراً ليس له مثيل، إذ هو مهيأ له بكيفية معجزية فريدة، اتخذه ليجئ إلى العالم، ظاهراً فى الجسد لغرض عظيم وهو تمجيد الله الذى أهانه الانسان بعصيانه والتكفير عن خطايا البشر، كما سنبين ذلك بالتفصيل فى الفصل التالى. وعبارة «ظهر فى الجسد» تفيد سابق وجوده قبل ظهوره إذ لا يمكن أن يقال هذا عن أى إنسان، لأن كل إنسان قد بدأ وجوده عند ولادته.

أما المسيح الذى ولد فى بيت لحم من العذراء مريم فمكتوب عنه قبل ولادته بمئات السنين «وأما أنت يابيت لحم.. فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً... ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا ٥:٢). ونقرأ «الكلمة كان عند الله. وكان الكلمة (الابن) الله... والكلمة صار جسداً» (يوحنا ١:١ . ١٤)، وهنا نرى لاهوت الابن السابق لناسوته. ونقرأ فى أشعياء ٩:٦، قبل ولادة المسيح بسبعمائة سنة «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً (المسيح كمن ولد من العذراء)... ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً

(الله القدير أى المسيح فى مقامه الإلهى) ». واسمه العجيب المشار إليه هنا هو «عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» (متى ١:٣٢)، أى الله ظهر بين البشر. واسمه أيضاً «يسوع» (متى ١:٢١)؛ وهى كلمة عبرانية معناها «الرب المخلص». فكلا الاسمين اللذين دُعى بهما عند ولادته يدلان على لاهوته.

إن الصعوبة تبدو لمن ينظر إلى المسيح كإنسان جعله المسيحيون إلهاً، بينما الحقيقة هى العكس، أنه الله تنازل ليصير إنساناً، محتفظاً فى نفس الوقت بلاهوته، وهذا بحسب قدرته الفائقة. والتنازل هو من حقه الذى لا اعتراض عليه، لأنه يمكن الاعتراض على من يرفع نفسه فوق حقيقته، أما العالى الرفيع إذا تنازل واتضع فهذا مما يمجده فى عيوننا، سيما وأن هذا التنازل هو من أجلنا.

ولزيادة التأكيد نأتى بعدة شواهد أخرى من الكتاب المقدس تؤكد لاهوت المسيح بما لا يدع مجالا للشك: فقد ذكر عنه بصريح العبارة أنه الله «وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» (عبرانيين ١، مزمور ٤٥). وأيضاً «صعدت إلى العلاء سبيت سبياً قبلت عطايا بين الناس.. أيها الرب الإله» (مزمور ٦٨:١٨)، والذى فعل هذا هو المسيح (أفسس ٤:٨، ٩). ومكتوب أيضاً «صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب. قوموا فى القفر سبيلاً لإلهنا» (أشعياء ٤٠:٣)، ويقال هنا «الرب» و «إلهنا» عن المسيح الذى أعد المعمدان طريقه (يوحنا ١:٢٣).

وقال المسيح نفسه «قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن (أى يهوه السرمدى)» (يوحنا ٨:٥٨). ويقول المسيح «أبنى كنيستى» (متى ١٦:١٨) بينما فى أعمال ٢٠:٢٨ نقرأ «كنيسة الله».

وقال له توما «ربى وإلهى» (يوحنا ٢٠:٢٨). ويقول عنه الرسول بولس «الكائن على الكل إلهاً مباركاً (الله المبارك) إلى الأبد» (رومية ٩:٥). ويقول يوحنا «يسوع المسيح... هذا هو الإله الحق (الله الحقيقى)» (يوحنا الأولى ٥:٢٠) وأيضاً «لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (كورنثوس الأولى ٢:٨).

ومكتوب أيضاً «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح» «أو إلهنا ومخلصنا العظيم يسوع المسيح» (تيطس ٢:١٣). وهو أيضاً «رب الأرباب وملك الملوك» الذى هو اسم الله وحده (تثنية ١٠:١٧).

كما نُسبت إلى المسيح فى الكتاب المقدس أعمال إلهية وصفات إلهية، منها أنه خالق كل شئ، «كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان» (يوحنا ١:٢). وأيضاً «الكل به وله قد خلق» (كولوسى ١:١٦) وأيضاً «الذى به (بالمسيح) أيضاً عمل العالمين... بهاء مجده ورسم جوهره» (عبرانيين ١:٢). وأيضاً «كان فى العالم وكوِّن العالم به ولم يعرفه العالم» (يوحنا ١:١٠).

وهو أيضاً «القادر على كل شئ» (رؤيا ١:٨). «الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده... بحسب عمل استطاعته أن

يخضع لنفسه كل شئ» (فيلبى ٣:٢١). وهو «حامل كل شئ بكلمة قدرته» (عبرانيين ١:٣).

وهو العليم بكل شئ، فقد «قال له تلاميذه.. نعلم أنك عالم بكل شئ» (يوحنا ١٦ : ٣٠). وقال له بطرس «يارب أنت تعلم كل شئ» (يوحنا ٢١:١٧) وهو «الفاحص الكلى والقلوب» (رؤيا ٢:٢٣). وهذه صفة الله وحده (أرميا ١٧ : ١٠).

وهو الأزلى الأبدى الذى لا يتغير. ونضيف إلى الشواهد السابقة عن ذلك ما يأتى: «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عبرانيين ١٣:٨). وقيل عن المسيح الذى كانت أيامه قصيرة على الأرض «إلى دهر الدهور سنوك. من قدم أسست الأرض. والسموات هى عمل يديك. هى تبيد وأنت تبقى... أنت هو وسنوك لن تنتهى» (مزمور ١٠٢:٢٥-٢٧).

وهو الموجود فى كل مكان وزمان، فقد قال «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم» (متى ١٨ : ٢٠). وأيضاً «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨ : ٢٠)، وهذه صفة الله وحده: «أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب» (أرميا ٢٣:٢٤).

وهو الذى يقبل أرواح المنتقلين كما صلى استفانوس «أيها الرب يسوع اقبل روحى» (أعمال ٧:٥٩). وهو الذى يقيم الأموات، كما قال بفمه الكريم «كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٤٠). وهو «العتيد أن يدين الأحياء والأموات»

(تيموثاوس الثانية ٤: ١) «وهو الذى يغفر الخطايا» (لوقا ٥: ٢٠ . ٧: ١٧) ويعطى الحياة الأبدية (يوحنا ١٠: ٢٨). وهذان من اختصاص الله وحده.

وقد شهد له نثنائيل قائلاً «أنت ابن الله. أنت ملك اسرائيل» (يوحنا ١: ٤٩). وقالت مرثا التى أقام المسيح أخاها «أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم» (يوحنا ١١: ٢٧). وقال بطرس الرسول «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (متى ١٦: ١٦).

إن المسيحيين لا يؤلهون الإنسان، ولا يؤلهون ناسوت المسيح، لأنه كان ناسوتاً محدوداً متحيزاً «أى لا يوجد إلا فى مكان واحد فى وقت واحد» ولكنهم يؤمنون ان هذا الناسوت كان يحل فيه ملء اللاهوت» بغير اختلاط أو امتزاج (كولوسى ١: ١٩ . ٢: ٩). فالمسيح له المجد هو «الله (الذى) ظهر فى الجسد»، فكان فى هذاالعالم انساناً كاملاً (كامل الإنسانية)، لكن فى نفس الوقت كان بلاهوته يملأ السموات والأرض. فكانت له طبيعتان، طبيعة إنسانية منزهة عن الخطية، ولكن لها خصائص الإنسان الذى يجوع ويعطش ويتعب ويتألم، وطبيعة إلهية ظهرت فى الوقت نفسه فى علمه بكل شئ، وقدرته على كل شئ كما رأينا. ويشار إلى الطبيعتين معاً فى عدة آيات من الكتاب المقدس، منها: «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور (طبيعته الإلهية)... من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج (طبيعته الإنسانية)» (مزمور ٤٥: ٦ . ٧)، وأيضاً «الإنسان الثانى (طبيعته الإنسانية) الرب من السماء (طبيعته الإلهية)» (كورنثوس الأولى ١٥: ٤٧).

وعدم فهم هذه الحقيقة هو الذى يثير اعتراضات كثيرة، فعندما يقرأ البعض الآيات التى تتكلم عن طبيعة المسيح الإنسانية أو عن كون الله أعظم منه، يقولون لأول وهلة: إذاً المسيح إنسان فقط. ولكن إذا وضعنا فى أذهاننا الحقيقية السامية الفائقة الإدراك المُعلَنة فى الكتاب المقدس، وهى أن المسيح هو الله وإنسان معاً، زالت الصعوبة تماماً. وهذه الحقيقة لا يقبلها إلا الإيمان، ومع ذلك فهى حقيقة معقولة لها ما يبررها كما سنرى فى الفصل التالى.

وإليك أمثلة من الآيات التى تدل على طبيعة المسيح الإنسانية التى بها يعثر كثيرون: «إلهى إلهى لماذا تركتنى» (مز ٢٢ : ١). وأيضاً «إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» (يوحنا ١٧:٢٠). وأيضاً «أبى أعظم منى» (يوحنا ٢٨:١٤).

وحدانية الأقانيم فى الذات الإلهية وفى كل صفات اللاهوت وخواصه

تكلمنا باسهاب عن لاهوت المسيح - ابن الله - لأنه هو الذى يكثر فيه التساؤل. ولابد لنا الآن، وإن كنا قد أشرنا إلى ذلك قبلاً، أن نبيّن أن الأقانيم الثلاثة هم الذات الإلهية الواحدة، واحد فى اللاهوت بكل خصائصه وصفاته ولا أسبقية لأقنوم على أقنوم وإن بدا ذلك، لأول وهلة من أسماء الأقانيم. ويخطئ الذين يقولون: الأقنوم الأول والثانى والثالث؛ لأنه لا يوجد ترتيب لذكر الأقانيم فى الكتاب المقدس بل يذكر الآب أولاً مرة، والابن أولاً مرة اخرى، والروح القدس أولاً مرة غيرهما، وهكذا. كما أن أسماء الأقانيم

لا تدل على أسبقية الآب عن الابن مثلاً، أو اشتقاق الروح القدس من الآب والابن. حاشا. لأن أسماء الأقانيم تدل على التعادل، وعلى العلاقة الروحية الأزلية، فالآب يحب الابن فى الأزل «قبل كون العالم» (يوحنا ١٧:٢٥). والابن يحب الآب (يوحنا ١٤:٣١). والروح القدس «روح المحبة» (رومية ١٥:٣٠، تيموثاوس الثانية ١:٧). ولا يقال عن الآب الوالد بل الآب؛ لأن أبوّة الآب للابن هى علاقة محبة روحية سامية كما سبق القول، إذ أن الله بأقانيمه الثلاثة محبة «الله محبة». وقد ظهرت هذه المحبة بكمالها للبشر فى إرسال الآب للابن كفارة عن خطايانا، وفى تطوع الابن ببذل نفسه كفارة من أجلنا، وذلك بروح أزلى.

وقد قيل فى الكتاب المقدس عن الآب إنه الله «الله أبونا» (تسالونكى الثانية ٢:١٦). وقيل إننا باللسان «نبارك الله الآب» (يعقوب ٣:٩)؛ ولا جدال فى لاهوت الآب. أما لاهوت الابن فقد أوردنا عنه آيات كثيرة جداً فى هذا الفصل. بقى أن نقول كلمة عن «الله الروح القدس»، سيما وأن البعض لا يدركون أقنوميته ويتصورون أنه قوة أو تأثير أو صفة من صفات الله، والبعض عن عدم معرفة يتكلمون عنه بصيغة التأنيث فيقولون مثلاً «حلت الروح» أو «الروح التى».

أقنومية الروح القدس ولاهوته

الروح القدس له كل المميزات والصفات الإلهية :

١-فهو *كلى العلم* «يفحص كل شئ حتى أعماق الله وأمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله» (كورنثوس الأولى ٢: ١٠:١١).

٢-وهو *يفعل كما* يشاء (كورنثوس الأولى ١٢:١١).

٣-وهو *أزلى* (عبرانيين ٩:١٤).

٤-ويعرف *المستقبل* ويخبر به (لوقا ٢:٢٦، يوحنا ١٦:١٣).

٥-وهو *كلى القدرة* (رومية ١٥:١٩).

٦-وهو *القدوس* وهذه صفة الله وحده (أفسس ٤: ٣٠-انظر رؤيا ٤:٨).

٧-وهو *الحق* «الروح هو الحق» (يوحنا الأولى ٥:٦).

٨-وله ينسب *الخلق* (أيوب ٢٣: ٤، مزمور ٣٣: ٦، مزمور ١٠٤: ٣٠).

٩-وهو موجود *فى كل مكان* (مزمور ١٣٩: ٧. ٨) وهو يسكن فى جميع *المؤمنين فى كل زمان ومكان* (يوحنا ١٤:١٧، أفسس ١:١٣).

١٠-وهو *المحيى* (يوحنا ٦:٦٣، كورنثوس الثانية ٣:٦، رومية ٨:١١).

١١-وهو مصدر *الوحى* «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (بطرس الثانية ١:٢١).

١٢- ويذكر صراحة أن الروح القدس هو *الله*، فقد قال بطرس لحنانيا «لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس... أنت لم تكذب على الناس بل على الله» (أعمال ٥:٤).

أما بخصوص كون الروح القدس أقنوماً، يتكلم ويسمع ويخبر ويحب، ويحزن، وليس مجرد قوة أو تأثير فيكفي أن نورد الشواهد الآتية: «**قال** الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل» (أعمال ١٣ : ٢) «روح أبيكم... **يتكلم** فيكم» (متى ١٠ : ٢٠). «ومتى جاء ذاك روح الحق.. كل ما **يسمع** **ويتكلم** به **ويخبركم** بأمور آتية» (يوحنا ١٦ : ١٣) ومكتوب أيضا «أطلب إليكم أيها الأخوة.. **بمحبة** الروح» (رومية ١٥ : ٣٠). ويقول الرسول بولس «لا **تحزنوا** روح الله القدوس» (أفسس ٤ : ٣٠).

الفصل الرابع

المسيح، وهو الله ظاهراً في الجسد، مات مصلوباً

عرفنا من الفصول السابقة أن الله الواحد ثلاثة أقانيم، وأنه مكتفٍ بذاته ويمارس صفاته مع ذاته أزلياً، فى وحدة ومحبة فائقة الإدراك بين الأقانيم الثلاثة. عرفنا الله، لا كما صورته لنا عقولنا، بل كما أعلن ذاته لنا فى كتابه المقدس، وفى أقنوم الابن الذى جاء متجسداً إلى هذا العالم ليعلن الله، ومعرفة الله هى أعظم وأثمن شئ فى الوجود.

هنا يأتى السؤال الهام: هل نستطيع، طالما أننا قد عرفنا الله، أن نصل إليه فى حالتنا هذه، أو أن نقترب منه بمجهوداتنا ونال الحظوة لديه ببرّنا؟ هل يمكن أن تكون لنا شركة معه الآن ونحن هنا على الأرض ثم نساكنه فى الأبدية التى لا نهاية لها؟

الجواب كلا! لأنه قدوس، كلى القداسة، ونحن بحسب الطبيعة خطاة نجسون كل النجاسة. هذا فضلاً عن أنه تعالى قد أصدر علينا حكماً بالموت الأبدى نتيجة لعصياننا عليه. ومن أين لنا أن نخلص من هذا الحكم من جهة، وأن نتوافق مع قداسته من الجهة الأخرى؟

إن ملائكته اللامعين القديسين الذين لم يخطئوا يغطون وجوههم أمامه، لا بالنسبة لمجده وجلاله فقط، بل بالنسبة لقداسته الفائقة، إذ وهم يغطون وجوههم ينادون قائلين «قدوس قدوس قدوس رب الجنود» (إشعياء ٦: ٢،

٣)، فكيف يمكن أن يقترب منه الإنسان الخاطئ «إلى ملائكته ينسب حماقة فكم بالحرى سكان بيوت من طين الذين أساسهم فى التراب» (أيوب ٤:١٨، ١٩). وقال آخر «السلطان والهيبة عنده... فكيف يتبرر الإنسان عند الله.. هوذا نفس القمر لا يضئ والكواكب غير نقية فى عينيه. فكم بالحرى الإنسان الرمة وابن آدم الدود» (أيوب ٢٥:٢-٦).

وإذا كنا لا نستطيع أن نصل إلى الله فما الفائدة من معرفته؟ إنها لا تزيدنا إلا حسرة وألماً. ولكن شكراً لله لأنه وجد حلاً وحيداً لهذه المشكلة المستعصية. وقبل أن نوضح هذا الحل الإلهى لابد أن نشير إلى حقيقة حالنا كبشر كما يكشفها لنا الله فى كتابه المقدس، لترى البعد الشاسع والهوة السحيقة بيننا وبين الله وكيفية السبيل الى عبورها.

حقيقة حالنا كبشر خطاة

لقد خلق الله الإنسان فى حالة البرارة والطهارة كما هو مكتوب «الله صنع الإنسان مستقيماً» (جامعة ٧:٢٩). ولكن الإنسان عصى الله وتعدى الوصية الوحيدة التى أعطاها له، فوقع تحت طائلة القصاص الذى أصدره الله وأنذره به مقدماً قائلاً «يوم تأكل منها (أى من شجرة معرفة الخير والشر) موتاً تموت» (تكوين ٢:١٧). ولهذا الموت ثلاثى:موت روحى، وموت جسدى، وموت أبدى. الموت الروحى هو الانفصال عن الله، وهذا ما حدث بمجرد السقوط فى الخطية، إذ شعر آدم وحواء بعدم توافقهما مع محضر الله، فاختبأ آدم وإمرأته«فى وسط شجر الجنة» قبل أن يطا دهما الله منها.

وهذا الموت الروحى سرى فى كيانهما مفسداً طبيعتهما، وتوارثه نسلهما. كما هو مكتوب «بانسان واحد دخلت الخطية إلى العالم.. وبالخطية الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو ٥:١٢). وقد شهد بذلك داود النبى إذ قال «هأنذا بالأثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى» (مزمور ٥١:٥). وشهد بذلك بعض العلماء فقال أرسطو «إن أكثر أعمال الإنسان محكومة بالعواطف والشهوات. لذلك فانه يقع فى الخطأ مهما علم العقل بضرره. فالإنسان يفكر جيداً ويرشده فكره إلى الصواب، لكن تتغلب عليه شهوته فتغويه». وقال آخر «إن الأطفال يأتون إلى العالم وفى طبيعتهم العناد والشر والأنانية». وكلنا نعرف الحقيقة المتداولة «النفس أمارة بالسوء» مع أن الله لم يخلقها هكذا ولكنها فسدت بالسقوط وهذا أمر طبيعى فالحية لا تلد إلا حية، والخنزيرة لا يمكن أن تلد حملاً، وكذلك لا يجتنون من الشوك عنباً ولا من الحسك تيناً، ولا تقدر شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة. (متى ٧:١٦-١٨). فالناس خطاة لسببين :

أولاً: **لأنهم مولودون بطبيعة فاسدة.**

ثانياً: **لأنهم يخطئون بإرادتهم** نتيجة لتلبية رغبات طبيعتهم الفاسدة. كما يقول الرسول «إذ أخطأ الجميع»، وأيضاً «الجميع زاغوا وفسدوا معاً «أى أنتنوا ولم يعد لهم نفع». ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رومية ٣:١٢).

هذا هو الموت الروحى. أما الموت الجسدى فحكم به الله على الإنسان

بقوله لآدم «حتى تعود إلى الأرض التى أُخِذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود» (تكوين ٣: ١٩). ولكن العودة إلى التراب ليست هى النهاية لأن نفس الإنسان خالدة تبقى إلى الأبد، لذلك يقول الرسول بولس «وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عبرانيين ٩: ٢٧). وبعد الدينونة (المحاكمة) أمام العرش العظيم الأبيض، يطرح جميع الأشرار فى النار الأبدية ويقول الكتاب «هذا هو الموت الثانى» (رؤيا ٢٠: ١٤)، أى بعد الموت الجسدى الأول. وعذاب النار الأبدية حقيقة مؤكدة فى الكتاب المقدس.

وخلاصة القول هى أن السقوط جلب على البشر:

١- **الموت الروحى** أى الانفصال عن الله ويتبع هذا فساد الطبيعة البشرية التى صارت مستودعاً لكل بذور الشر والعداوة والقتل والأنانية والشهوات بدرجة تجعل الناس أنفسهم ينفرون من هذه الشرور فى الآخرين، فكم بالحرى هى كريهة فى نظر الله؟!

٢- **الموت الجسدى** أى انفصال الروح عن الجسد الذى يعود إلى التراب الذى أخذ منه.

٣- **العذاب الأبدى** الذى هو قضاء الله على جميع الخطاة.

وبناء عليه فلا يمكن أن يقترب الإنسان إلى الله، أو تكون له معه علاقة حاضراً وأبدياً إلا إذا تم إيفاء مطاليب عدل الله، وإنقاذ الإنسان من عواقب السقوط الوبيلة السابق الإشارة إليها، حتى يمكن أن تزول عنه صفة الذنب ويتبرر أمام الله. ولابد أيضاً من إعطاء الإنسان طبيعة جديدة بها يتوافق

مع الله ويصلح لمساكنته. ومعالجة حالة الإنسان من كل الوجوه بالكيفية التى ذكرناها مستحيلة على الإنسان تماماً بالرغم من كل محاولاته المستمرة.

حالة الإنسان الساقط والعلاج الإلهى فى (تكوين ٣)

مما يسترعى النظر أن الفصل الذى يخبرنا عن سقوط الإنسان فى أول صفحات الكتاب المقدس، تكوين ٣، يرينا بوضوح :

١-**نتائج السقوط الوبيلة** التى أشرنا إليها.

٢-**فشل جهود الإنسان** لمعالجة حالته وعودته للاقتراب إلى الله.

٣-**العلاج الإلهى الكامل** الذى يكفل التبرير والقبول والخلاص من العقاب الأبدى، وكأن الله قد أودع كل بذور مقاصده الصالحة نحو الإنسان فى الصفحات الأولى من كتابه المقدس.

ونبين باختصار كيف نجد هذه النقاط الهامة الثلاث فى أصحاحى ٣ . ٤ من سفر التكوين.

لم يستسلم الإنسان لله ليعالج حاله التعيس، بل حاول أن يعالج أمره بنفسه. عندما نقول الإنسان نقصد آدم وحواء معاً «فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر» (تكوين ٣ : ٧). وكل ما استطاعت هذه المآزر أن تفعله هو أن تغطى عرى الواحد منهما عن الآخر، وليس عن الله لأن آدم وهو متزر بالمآزر يقول لله «لأنى عريان». وأوراق التين تمثل كل الوسائل البشرية

فى كل العصور لمحاولة اصلاح طبيعة الإنسان وتهذيبها ، وكل وسائل الصقل وتحسين الأخلاق والمظهر، فان هذه كلها إنما تخفى مخازى الإنسان الداخلية عن إخوانه، ولكنها لا يمكن أبداً أن تخفيها عن نظر الله أو أن تصلح طبيعة الإنسان بأية درجة من الاصلاح، كما هو مكتوب «المولود من الجسد جسد هو» (يوحنا ٣:٦) وأيضاً «اهتمام الجسد هو موت.. هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله» (رومية ٨:٦-٨). ونرى صورة لذلك فى إشعياء النبى إذ لم يستطع أن يكتشف حقيقة حاله إلا فى نور مجد الرب فصرخ قائلاً «ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين» (إشعياء ٦:٥).

ثم نجد فى تكوين ٤ أن قايين أول ابن لآدم حاول أن يقترب إلى الله بأعماله، بمجهوده وتعب يديه، فرفضه الله ولم ينظر إليه. هذا هو الطريق الذى اختطه قايين لنفسه، متجاهلاً فساد طبيعته وقضاء الله عليه بالموت كخاطئ. وهو نفس الطريق الذى يسير فيه كل من يظن أن أعماله الصالحة يمكن أن تؤهله للاقتراب من الله بينما يقول الكتاب صراحة «ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين» (يهوذا ١١).

أما العلاج الإلهى فيتمثل أولاً وقبل كل شئ فى الوعد الإلهى بنسل المرأة الذى يسحق رأس الحية، ثم فى أقمصة الجلد التى صنعها «الرب الإله لآدم وامرأته... وألبسهما» (تكوين ٣:٢١). أما نسل المرأة فهو المسيح؛

المخلص الوحيد الذى «جاء مولوداً من امرأة»، من عذراء لم تعرف رجلاً إذ حُبِل به فيها من الروح القدس (متى ١ : ٢٠). أما سحقه رأس الحية فكان بالموت على الصليب المشار إليه بالقول «أنت تسحقين عقبه» (أى طبيعته الإنسانية)، وفى ذلك مكتوب أيضاً أن المسيح اشترك فى اللحم والدم «لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس» (عبرانيين ٢ :١٤).

وهنا نجد ثلاث حقائق فى غاية الأهمية؛ هى خلاصة موضوع هذا الكتيب:

١-**لاهوت المسيح**، لأنه من ذا الذى يقوى على سحق رأس الشيطان إلا الله.

٢-**ناسوت المسيح** الذى به صار نسل المرأة. لكى يسحقه باعتباره الإنسان.

٣-**موت المسيح الكفارى** الذى بواسطته انتصر على الشيطان وسحقه.

أما أقمصة الجلد ففيها أشارة واضحة إلى الفداء والكفارة. وسنتكلم عن ذلك بالتفصل، لأنه السر فى موت المسيح مصلوباً الذى هو موضوع هذا الفصل. ولكن قبل ذلك أشير إلى نقطتين فى الأصحاح الثالث من سفر التكوين: النقطة الأولى أن آدم بعد أن سمع الوعد بنسل المرأة آمن، ولذلك كساه الله بقميص الجلد بعد إيمانه. وهذا هو طريق الله للتبرير دائماً : السمع، والإيمان، ولبس المسيح كثوب البر. ويتمثل هذا فى القول «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه» (رومية ٣ :٢٤). أما دليل الإيمان فى آدم فهو أنه بعد أن سمع الوعد بنسل المرأة دعا اسم امرأته حواء «أى حياة» لأنها أم كل حى، مع أنه

سمع قبل ذلك مباشرة أنه سيموت ويعود إلى الأرض التى أخذ منها، ولكنه بالإيمان بوعد الله عن نسل المرأة ارتفع فوق دائرة الموت ودعا اسم امرأته «حياة» وبعد ذلك نقرأ مباشرة «صنع الرب الإله لآدم وإمرأته أقمصة من جلد وألبسهما» فجاء التبرير نتيجة للإيمان.

أما النقطة الثانية فنجدها فى آخر هذا الأصحاح الثالث من التكوين وهى أن الله «أقام الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تكوين ٣ :٢٤).

وفى هذا نجد الإشارة إلى أن الوصول إلى «شجرة الحياة»، أو بالحرى نوال الحياة إلى الأبد، يحول دونه «الكروبيم ولهيب السيف المتقلب». ولم يستطع أحد أن يفتح لنا هذا الطريق ويوصلنا إلى الحياة الأبدية إلا المسيح الذى تنبأ عنه زكريا قبل مجئ المسيح بالجسد بخمسمائة سنة قائلاً «استيقظ ياسيف على راعى وعلى رجل رفقتى (المسيح) اضرب الراعى» (زكريا ١٣ :٧). أما الكروبيم فكانت مصورة على حجاب الهيكل (خروج ٢٦ :٣١). ولما مات المسيح على الصليب نقرأ «فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل» (متى ٢٧ : ٥٠ ، ٥١)، أى أن الكروبيم الحارسين لطريق شجرة الحياة قد أفسحوا الطريق للوصول إلى حضرة الله، والتمتع بالحياة الأبدية على أساس الإيمان بموت المسيح الذى احتمل ضربة سيف العدل الإلهى عوضاً عنا.

حتمية الفداء بموت المسيح

رأينا فيما سلف أنه لا يمكن للإنسان تمجيد الله ومحو الإهانة التى لحقته بسبب العصيان، كما لا يمكنه تخليص نفسه من عواقب سقوطه والحصول على التبرير والقبول لديه تعالى. ومن ثم لزم موت المسيح لفدائه ولتحقيق هذه الأغراض.

وهنا يأتى السؤال: ألم تكن هناك وسيلة أخرى؟ الجواب كلا. وهنا يأتى سؤال آخر: كيف يسوغ لنا أن نحصر قدرة الله غير المحدودة فى وسيلة واحدة لا بديل لها؟ الجواب: أن الله يستطيع كل شئ ولا يعسر عليه أى أمر، ولكن ذلك فى مجال كماله المطلق وتوافق جميع صفاته معاً. فلا يقدر الله مثلاً أن ينكر نفسه (تيموثاوس الثانية ٢:١٣). ولا يمكن أن ينكث عهده «لا أكذب من جهة أمانتى. لا أنقض عهدى. ولا أغير ما خرج من شفتى» (مزمور ٨٩:٣٤، عبرانيين ٦:١٨).

وبما أن الله عادل وقدوس، فلا يتفق مع عدله وقداسته أن يتساهل مع الخطية أو يدعها تمر بدون توقيع القصاص الذى صدر منه تعالى «أجرة الخطية هى موت» (رومية ٦:٢٣). صحيح أن الله غفور رحيم، ونحن نعتز برحمته ومحبته اللتين لا حد لهما. لكن الرحمة لا يمكن أن تتجه إلا متوافقة مع القداسة والعدل. فالذين يريحون ضمائرهم بترك أمر خطاياهم إلى رحمة الله هم واهمون إن لم يستندوا على الأساس الصحيح للرحمة وهو الفداء بواسطة بديل كفء يتحمل كل متطلبات العدل، وحينئذ يتسع المجال

أمام رحمة الله لتتجه للبشر الخطاة لقبولهم وتبريرهم عدلاً حيث يكون الله «باراً (عادلاً) ويبرر من هو من الإيمان بيسوع» (رومية ٣:٢٦). ولا يوجد بديل كفء إلا المسيح وحده كما سنرى. والصليب هو الحل الوحيد الذى تمت فيه النبوة «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مزمور ٨٥:١٠).

ومبدأ الفداء يملأ الكتاب المقدس من أوله إلى آخره، فقد رأيناه لأول مرة في تكوين ٣ ثم في تكوين ٤ كما سبقت الإشارة. وكان تقديم الذبائح هو طريق العبادة المقبولة لدى الله كما نرى في نوح حيث نقرأ أنه «أصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا» (تكوين ٨:٢١). وكان ابراهيم يقيم المذبح ملازماً لخيمته. كما نقرأ عن أيوب الذى كان معاصراً لابراهيم أنه كان يقدم ذبائح بعدد بنيه لفدائهم من القصاص على ما قد يكون صدر منهم من خطايا ولو بالفكر. وقال الله «أنا أعطيتكم الدم على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس» (لاويين ١٧:١٠) ولذلك قال الرسول بولس «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عبرانيين ٩:٢٢).

وتقديم الذبائح يفيد الاعتراف بالخطايا وباستحقاق الموت. وقد رسم الله لشعبه قديماً في سفر اللاويين أربعة أنواع رئيسية من الذبائح هي: المحرقة، وذبيحة الخطية، وذبيحة الاثم، وذبيحة السلامة. ومن الذبائح ما كانوا يضعون أياديهم على رؤوسها ويقرون بخطاياهم رمزاً لانتقال هذه الخطايا إلى الذبيحة قبل ذبحها. أما المحرقة فكانوا يضعون أيديهم على رأسها رمزاً لانتقال براءتها إلى مقدم الذبيحة.

ولم تكن تلك الذبائح إلا رمزاً لتقديم المسيح نفسه ذبيحة لله بحسب رسم المشورات الأزلية. ولذلك لما رأى يوحنا المعمدان المسيح مقبلاً إليه قال «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يوحنا ١:٢٩). أما الذبائح فى ذاتها فلم تكن ترفع خطايا «لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا» «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول (المسيح) ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً.. هأنذا أجئ فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله.. ينزع الأول (أى الذبائح الحيوانية) لكى يثبت الثانى (أى ذبيحة المسيح) فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عبرانيين ١٠:٤-١٠). ولذلك قال داود «لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى» (مزمور ٥١:٦). وقال ميخا «بم أتقدم للرب. هل أتقدم بمحرقات.. هل أعطى بكرى عن معصيتى؟ ثمرة جسدى عن خطية نفسى» (ميخا ٦:٦ ، ٧).

الشروط الواجب توافرها فى الفادى

١-لابد أن يكون الفادى إنساناً، ولذلك دعى المسيح «ابن الإنسان» و«الإنسان الثانى» و«آدم الأخير» لكى يستطيع أن يموت عن البشر ليفيديهم.

٢-يجب أن يكون هذا الإنسان باراً وكاملاً لأن الخاطئ لا يمكن أن يفدى الخاطئ، لذلك مكتوب «الأخ لن يفدى الإنسان فداء ولا

يعطى الله كفارة عنه. وكريمة هى فدية نفوسهم فغلقت إلى الدهر» (مزمور ٤٩:٧ . ٨). والمسيح له المجد مكتوب عنه أنه «لم يفعل خطية» و«لم يعرف خطية» و«ليس فيه خطية» وقد شهد ببره جميع أعدائه، حتى مسلمه يهوذا، وبيلاطس نفسه الذى حكم عليه.

٣-أن تكون قيمته أعظم من قيمة كل البشر معاً، لأنه لا يفدى إنساناً واحداً بل ملايين المؤمنين فى كل الأجيال. ولا يتوفر هذا الشرط إلا فى المسيح الذى هو الله «الذى ظهر فى الجسد» أى غير المحدود.

٤-أن يكون مِلكاً لنفسه، أى غير مخلوق لأن كل مخلوق هو ملك خالقه، ولا يمكن أن يقدم لله ما لا يملكه. ولا يتوفر هذا الشرط إلا فى المسيح له المجد الذى هو الخالق. وقد قال «لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً» (يوحنا ١٠:١٨).

٥-أن يكون قادراً وراغباً فى تحمل قصاص خطايا كل البشر الذين ينوب عنهم. كما أنه يكون قادراً أن يعطى لمن يفديهم حياة روحية وطبيعة أدبية تتوافق مع الله.

وبناء عليه لا يمكن إن يكون الفادى إلا المسيح وحده الذى هو الله وإنسان معاً.

محبة الله الفائقة المعرفة

يقول قائل: ما الذى يلزم الله بسلوك هذا الطريق الشاق الفائق العقل لفداء بشر خطاة كان يمكن أن يبيدهم ويخلق أفضل منهم؟! إنى فعلاً أعذر مقدم هذا السؤال، لأنه من ذا الذى يستطيع أن يعرف محبة الله أو يصل إلى بعض أغوارها! والرسول بولس نفسه يقول إنها «فائقة المعرفة» (أفسس ١٩:٣) ويقول يوحنا الرسول «المحبة هى من الله.. ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به. فى هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (الرسالة الأولى ٤:٧-١٠). وقال أيضاً «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ١٦:٣). وقال الرسول بولس «الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رومية ٨:٥)، إنى لا أرى فى سؤال السائل اعتراضاً، بل تعجباً، وحق له أن يتعجب لأن الله عجيب فى كل شئ، لاسيما فى المحبة التى هى طبيعته.

هذه المحبة هى التى خططت مشروع الفداء العظيم ونفذته. لماذا؟ «حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته.. حسب غنى نعمته... حسب مسرته التى قصدها فى نفسه» (أفسس ١:٥-٩). وقد قال الرب يسوع «وأنا ان ارتفعت عن الأرض (أى بالصليب) أجذب إلىّالجميع» (يوحنا ٣٢:١٢). ليت قلوبنا تتعمق فى محبة الله وتجتذب إليه، وتحصر فى محبته فنقول مع الرسول «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (يوحنا الأولى ١٩:٤).

لم يمت المسيح كشهيد

لم يكن ممكنا أن يموت المسيح كشهيد لأن «بالخطية الموت»، والمسيح كان خالياً من الخطية «ليس فيه خطية»، فلم يكن للموت سلطان عليه، كما قال بفمه الكريم «ليس أحد يأخذها (أى حياتى) منى بل أضعها أنا من ذاتى». ولذلك قصد اليهود مراراً أن يقتلوه، ولكن لم يجسر أحد أن يمسكه بل كان يمر فى وسطهم ويمضى «لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد». وحتى فى الليلة الأخيرة التى فيها قبضوا عليه، عندما قال لهم «أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» (يوحنا ١٨:٦). وعندما حوكم أمام بيلاطس لم يدافع عن نفسه ولم يجب على أسئلته حتى تعجب الوالى جداً، وكذلك هيرودس.

ولكن لما قربت الساعة المعينة «ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم» (لوقا ٩:٥١)، ولم يثن عزمه توسلات تلاميذه ومنهم بطرس الذى قال له «حاشاك يارب لا يكون لك هذا» (متى ١٦:٢٢). كما يقول بروح النبوة «إلى الوراء لم أرتد.. جعلت وجهى كالصوان» (إشعياء ٥٠:٥، ٧). وعندما أتت الساعة سلم نفسه بإرادته وأيضاً «مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق» (أعمال ٢:٢٣)، و«لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد» (عبرانيين ٢:٩).

ويظهر الغرضان الساميان من تقديم المسيح نفسه للموت فى آية واحدة حيث يقول الرسول بولس «كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً

وذبيحة لله رائحة طيبة» (أفسس ٥ : ٢).

وزيادة على الشواهد العديدة التي قدمناها للدلالة على موت المسيح الفدائي الكفاري نضيف الشواهد الآتية :

من *العهد القديم*: «ثقبوا يدى ورجلي.. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون—لصق لساني بحنكي «من العطش» وإلى تراب الموت تضعني» (مزمور ٢٢ : ١٥ . ١٦ . ١٨). «العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد.. وفي عطشي يسقونني خلاً» (مزمور ٦٩ : ٢٠ . ٢١). «وهو مجروح من أجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا.. جعل نفسه ذبيحة إثم.. بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها.. وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين» (أشعياء ٥٣). وفي نبوة زكريا نجد الثلاثين من الفضة التي باع بها يهوذا سيده (ص ١١ : ١٢)، ونجد طعن جنب المسيح بالحربة (ص ١٢ : ١٠)، ونجد أيضا الجروح التي في يديه (ص ١٣ : ٦).

من *العهد الجديد*: «لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليُخدَم بل ليخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مرقس ١٠ : ٤٥). «جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يوحنا ٦ : ٥١). «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا» (كورنثوس الأولى ٥ : ٧). «المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب» (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣). «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران

الخطايا» (أفسس ١:٧). «الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١تى ٦:٢). «الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا» (تيطس ٢: ١٤). «عالمين أنكم أُفتديتم... بدم كريم.. دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (بطرس الأولى ١:١٨-٢٠). «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة» (بطرس الأولى ٢:٢٤). «المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله» (بطرس الأولى ٣:١٨). «الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه» (رؤيا ١:٥).

دليل قبول الكفارة

هل قُبلت كفارة المسيح؟ نعم بكل يقين.

وأول دليل على ذلك انشقاق حجاب الهيكل فى لحظة موت المسيح. والحجاب هو الذى كان يغلق الطريق إلى محضر الله.

والدليل الثانى أن الله أقام المسيح من الأموات «الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رومية ٤:٢٥).

والدليل الثالث أنه دخل إلى السماء «كسابق لأجلنا» (عبرانيين ٦: ٢٠)، أى أنه فتح لنا الطريق للدخول إلى هناك. ولم يدخل إلى السماء فقط بل «جلس فى يمين العظمة فى الأعالى» حيث قال له الله إذ شبع بكمال عمله على الصليب «اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (عبرانيين ١:٣، ١٣).

بركات الإيمان بالفداء

لقد أكمل المسيح عمل الفداء وصار كل شئ معداً للاقتراب إلى الله والتمتع بكل بركاته. وليس على الإنسان إلا الإيمان بكمال الفداء الذى أتمه المسيح لأجله شخصياً. وما أكثر، وما أعظم البركات التى ينالها المؤمن. الواقع أنها «كل بركة روحية فى السماويات فى المسيح» (أفسس ١:٣). ولا يسعنا الوقت لتعداد هذه البركات ولكننا نذكر منها ما يأتى : غفران الخطايا، التبرير (كأن المؤمن لم يفعل ذنباً على الإطلاق)، الولادة الثانية (أى الحصول على طبيعة جديدة طاهرة)، عطية الروح القدس ليسكن فى المؤمن، وبه يميت أعمال الطبيعة الفاسدة، وينتج ثمار الطبيعة الجديدة. كما أنه بالروح القدس يقدم الصلاة والعبادة المرضية لله «الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق» (يوحنا ٤:٢٣).

وهكذا تأتى نفس المؤمن إلى الله ساجدة متعبدة لتتمتع بالشركة معه كالآب المحب، ولها اليقين بأنه عندما يأتى المسيح ثانية تكون معه فى المجد فى بيت الآب (يوحنا ١٤:٣).

الفصل الخامس

صحة وحى الكتاب المقدس بعهديه

وعدم وصول أى تحريف إليه

بما أننا استقينا كل الحقائق فى الفصول السابقة من الإعلان الإلهى فى الكتاب المقدس، فلابد من إثبات صدوره بوحى من الله، وسلامتـه من أى زيف أو تحريف. والكتاب المقدس كما ذكرنا هو إعلان الله عن ذاته. كان لابد أن الله يعطى هذا الإعلان للبشر، وإلا كيف نستطيع أن نعرف الله ونعبده بدون إعلان منه. هذا الإعلان هو ما يُسمى «كلمة الله» التى أوحى بها إلى أنبيائه على مدى ١٦٠٠ سنة، أى التوراة والإنجيل. وإن كان الله قد أعطى إعلاناً للبشر ونطق بأقواله المقدسة فكلامه يثبت إلى الأبد نظير ثباته هو تعالى. كان من المحتم أن الله يضمن سلامة الكتاب المقدس حتى لا يعبث به أحد من مخلوقاته، سواء كان إنساناً أو شيطاناً، فلا يستطيع مخلوق أن يحرّفه أى يغيّر شيئاً، أو يزيد عليه شيئاً، أو ينقص منه. هناك استحالة التحريف وإلا كان المخلوق أعظم من خالقه.

وإنى أقتبس بضع كلمات من أقوال الله من الفصل ٤٠ من كتاب النبى إشعياء عن عظمة قدرة الله وثبات كلمته :

«كل إنسان كعشب وكل جماله كزهر الحقل يبس العشب «العشب هو أضعف النباتات» ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.. هوذا الأمم كنقطة من دلو كغبار الميزان تحسب.. كل الأمم كلا شئ قدامه.. الجالس

على كرة الأرض وسكانها كالجندب. الذى ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن. الذى يجعل العظماء لا شيئاً ويصير قضاة الأرض كالباطل.. فبمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس. ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه. من الذى يُخرج بعدد جندها (أى الكواكب والنجوم)، يدعو كلها باسماء. لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يفقد أحد».

إن الرب يقول لا يمكن أن يُفقَد أحد الكواكب أو النجوم التى جعلها فى السماء، وذلك بسبب كثرة قوته؛ فهل يُفقَد شئ من كلامه المدوّن فى الكتاب المقدس؟ يقول الرب يسوع «السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول» (متى ٢٤ : ٣٥)

والواقع أن تهمة تحريف الكتاب المقدس تهمة جزافية باطلة غير مقبولة شكلاً أو موضوعاً، لأنها غير مدعمة بأسانيد الاتهام الواجبة. فتهمة التزييف يجب أن تقترن بتحديد الآيات المزيفة، وبيان الأصل قبل التزييف لمضاهاتها عليه، وبيان زمان التزييف، وكيفيته، والغرض منه، ومن الذين قاموا بالتزييف، وكيف اتفقوا عليه، وكيف لم يفطن له أحد طوال الأجيال.

من السهل أن تكيل الاتهامات لشخص دون أن تقدم الأدلة عليها. ولكن أغرب الكل أن تتهم شخصاً لا تعرفه شخصياً، وتبنى اتهامك على ما سمعته من آخرين. هل تعرف الكتاب المقدس؟ هل قرأته؟ تأكد يا صديقى أنك اذا قرأت الكتاب المقدس فسوف يسقط اتهامك من تلقاء ذاته، لأن الكتاب وحدة متماسكة منسجمة، تتجاوب كل أسفاره مع بعضها تجاوباً

كاملاً، مع اختلاف كاتبيه من عدة نواح، وتباعد أزمنة كتابتة، ومناطق صدوره، وذلك لأن المصدر واحد وهو الله، والكاتب واحد وهو الروح القدس. «كل الكتاب هو موحى به من الله» (تيموثاوس الثانية٣:١٦). وأيضاً «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (بطرس الثانية١: ٢١).

كتاب الله

لقد كُتِبَ الكتاب المقدس على مدى ١٦٠٠ سنة، من موسى النبى إلى يوحنا الرسول، وكتبه أربعون كاتباً مختلفى البيئة والثقافة والمركز الاجتماعى. وهو كتاب عجيب فى تكوينه، وترتيب أسفاره، فيبدأ بسفر التكوين، نشأة الخليقة، وينتهى ذلك السفر بمشهد الموت «مات يوسف فحنطوه ووضعوه فى تابوت فى مصر» (تكوين ٥٠:٢٦)؛ وذلك بسبب دخول «الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت» والسفر الثانى، سفر الخروج الذى يأتى بالعلاج الالهى للخطية، الفداء «أرى الدم (دم خروف الفصح) وأعبر عنكم». والسفر الثالث، سفر اللاويين وهو سفر العبادة والتقرب إلى الله؛ الأمر الذى الذى لا يمكن أن يتم إلا على أساس الفداء. وهكذا... ونجد مثلاً ترتيب مزامير ٢٢، ٢٣، ٢٤ الأول مزمور الصليب، والثانى مزمور الرعاية، والثالث مزمور الملك؛ ترتيباً إلهياً عجيباً. وإذا نظرنا إلى أول صفحة فى الكتاب المقدس التى تحدثنا عن الخليقة: من الذى يعرف كيفية تكوينها وترتيب أيامها إلا الله الذى أوحى بالكتاب المقدس؟ لأن آدم نفسه لم يكن يعرف ما سبقه. وإذا جئنا إلى الأناجيل الأربعة نجد أن لكل إنجيل اتجاهاً خاصاً.

فإنجيل متى هو انجيل الملك، ولذلك يذكر نسب الرب حسب الجسد إلى داود، وانجيل مرقس هو إنجيل الخدمة ولذلك لا يذكر نسب الرب بالمرة، وإنجيل لوقا هو إنجيل النعمة الذى يتحدث عن المسيح كابن الانسان «نسل المرأة» ولذلك يذكر نسب المسيح إلى آدم. أما إنجيل يوحنا فلا يذكر ولادة المسيح بالمرة لأنه يحدثنا عنه بوصفه ابن الله الأزلى الذى كان عند الله، وكان هو الله، ثم جاء بالجسد فى الوقت المعين «والكلمة صار جسداً» (يوحنا ١: ١٤).

والكتاب المقدس كله يسير فى طريق مستقيم نحو هدف واحد، وهو إعلان الله ذاته، ومقاصد محبته نحو البشر من الأزل إلى الأبد. وموضوع الكتاب كله «المسيح»، «فإن شهادة يسوع هى روح النبوة» (رؤيا ١٩: ١٠).

ولا يحتاج الكتاب المقدس إلى دليل على صحته خارجاً عنه، بل يشهد هو لذاته، فتجد فى كل سفر بعض الاقتباسات من الأسفار الأخرى مع أن كتبة الأسفار لم يتلاقوا ولم يتفقوا معاً.

ونجد فى العهد القديم نبوات عجيبة تمت بحذافيرها فى العهد الجديد: مثل مكان ولادة المسيح فى بيت لحم، والأسرة التى ولد منها «بيت داود»، وولادته من عذراء (إشعياء ٧: ١٤)، وآلامه الكفارية على الصليب، وثقب يديه ورجليه (انظر الفصل السابق)، ودفنه فى قبر رجل غنى... الخ. قال أدولف سافير العالم اليهودى المتنصر إن العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد مثل العلاقة بين المسألة وحلها، أو أساس البيت وجدرانه مما يدل على أن كتبته جميعاً كانوا مسوقين بروح الله نفسه. نجد مثلاً فى (تكوين

١٤: ١٨) شخصاً يظهر فجأة بدون بيان سابق لأبويه أو نسبه أو بداية حياته، «ملكي صادق» ثم نجد ذكره بعد ذلك في مزمور ١١٠. وترينا رسالة العبرانيين سبب إغفال تلك البيانات وهو انه «مشبه بابن الله» (عبرانيين ٧: ٣).

ولنأخذ مثالاً آخر على دقة كلمات الوحى المقدس: نقرأ فى أشعياء ٦١ أن المسيح مسحه الله ليبشر المساكين ولينادى «بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لالهنا»، بينما نقرأ فى لوقا ٤ أن المسيح قرأ هذا الأصحاح وقال للسامعين «اليوم قد تم هذا المكتوب» ولكنه أغفل عمداً يوم الانتقام لأن وقته لم يأت بعد.

ونجد فى الكتاب المقدس نبوات عن تاريخ ممالك العالم إلى وقت النهاية، وتاريخ شعب اليهود إلى وقت النهاية وذلك فى سفر دانيال، وتاريخ الكنيسة المسيحية فى سفر الرؤيا، وغير ذلك الكثير مما لا يتسع المجال لذكره. وقد تم بعض هذه النبوات بالضبط وبعضها فى طريق الاتمام. ونشاهد ذلك بعيوننا فى الوقت الحاضر. وقد شهد المسيح له المجد للعهد القديم مقتبساً عدة آيات منه، كما أوضح لتلاميذه الأمور المختصة بشخصه فى أسفار موسى والمزامير والأنبياء.

وإنه كتاب واحد متماسك عجيب، هو كتاب الله الذى يخبرك عن مقاصد الأزل قبل خلق العالم، وعما سيحدث فى المستقبل إلى الأبد-إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة. اقرأه، لا تحكم عليه قبل أن تقرأه، اقرأة فسيمسك

بضميرك ويكشف لك عما في داخلك ويأسر قلبك لأنه حي وفعال. لقد غير حياة ملايين من الناس من الشر والنجاسة إلى الطهر والقداسة، بعض الأشخاص قرأوه لينتقدوه فآمنوا به، وسجدوا لله وسلموه قلوبهم. كما ذهب بعض اليهود ليمسكوا المسيح، وسمعوا أقواله، فرجعوا إلى مرسليهم يقولون «لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان» (يوحنا ٧:٤٦).

لم يُحرّف

لا يصح اتهام الكتاب المقدس بالتحريف للتخلص من صعوبة فهم حقائق الثالوث الأقدس، ولاهوت المسيح، وموته مصلوباً. لأن هذه الحقائق متداخلة في كل الكتاب تداخلاً تاماً، لا يمكن فصلها منه، كالخيوط التي يتكون منها نسيج الثوب إنها سدى الكتاب ولحمته.

فإذا نسبت التحريف إلى بعض الأجزاء وحذفتها من الكتاب فستجد ما حذفته في باقي أجزائه. وقد رأينا في الفصل السابق أن صفحة واحدة في أول الكتاب المقدس (تكوين٣) تحتوي على هذه الحقائق كلها والآن نقدم بعض الأدلة الواضحة على عدم امكانية تحريف الكتاب:

العهد القديم:

إنه لا يخبرنا عن انتصارات اليهود فقط، بل عن هزائمهم أيضاً. ولا يخبرنا عن امتيازاتهم فقط بل عن وصف الله لهم بالرداءة، وغضبه عليهم. كما أنه لا يذكر فضائل الأنبياء فقط بل يكشف أخطاءهم، ولا يستر ما

ارتكبوه من خطايا كان بعضها شنيعاً. وقد كان العهد القديم موجوداً في أيدي اليهود قبل مجيئ المسيح بمئات السنين وكانت هناك نسخ منه في الهيكل والمجامع، وكانوا يحافظون عليه بكل دقة وعناية، وكان الأتقياء منهم يواظبون على قراءته كل يوم، وكانوا يعرفون عدد آياته وكلماته، بل وعدد حروفه أيضاً، وعدد المرات التي وردت فيها كل كلمة وكل حرف. هذا فضلاً عما سبقت الاشارة إليه من ورود اقتباسات عديدة منه في العهد الجديد.

العهد الجديد:

تحريفه مستحيل للأسباب الآتية:

١ - انتشر الانجيل(العهد الجديد كله) في الشرق والغرب في القرن الأول الميلادي، وتُرجِم إلى بعض اللغات، ولم يعترض عليه أحد من اليهود، وكان منهم من عاصر المسيح وسمعه. وكان الإنجيل يُتلى في اجتماعات العبادة. ويحفظ كثيرون أجزاء منه عن ظهر قلب منذ القرن الثاني بشهادة المؤرخين.

٢ - هذا وقد اختلف المعلمون المسيحيون في تفسير بعض آيات منه وانقسموا إلى عدة طوائف ولكن لم يطعن أحد منهم في النص المكتوب، بل بقى إنجيل واحد لكل الطوائف في كل العصور وفي كل بلاد العالم.

٣- وجدت نسخ من الأناجيل وبعض الرسائل مكتوبة في سنة ١٢٥م،

١٨٠ م أى بعد كتابتها الأصلية بفترة وجيزة وهى محفوظة للآن. كما وجدت فى بلادنا المصرية النسخة المسماة «الأخميمية» المكتوبة فى القرن الثالث وهى محفوظة فى لندن. كما وجدت من القرن الرابع نسخ «سانت كاترين» والنسخة «السينائية» وهى محفوظة بالمتحف البريطانى، والنسخة «الفاتيكانية». ومن القرن الخامس النسخة «الاسكندرانية» والنسخة «الافرائيمية» المحفوظة فى باريس. كما أنه توجد كتب دينية منذ القرن الأول بها اقتباسات كثيرة من الكتاب المقدس منها «رسالة كليمندس» سنة ٨٠م وهى محفوظة بمتحف لندن. ومن القرن الثانى كتابات «بوليكاربوس» تتحدث عن صلب المسيح وقيامته وصعوده. وتفسير للإنجيل فى ستة مجلدات بقلم «بابياس» وكثير غيرهم. وقد بحث بعض العلماء الآيات الواردة فى هذه الكتب فاتضح لهم أنها موجودة فى الكتاب المقدس تماماً. حتى قال بعض العلماء أنه لو فقدت نسخة الكتاب المقدس الحالية لأمكن جمع معظم آياتها من الكتب السابق ذكرها.

٤- هل يكون الغرض من التحريف إزالة العقد الظاهرية من الكتاب أم إضافتها إليه، إن الآيات التى تعلن الثالوث الأقدس، ولاهوت المسيح، وناسوته، وموته على الصليب لا تزال موجودة فى الكتاب بعهديه القديم والجديد بدون أية محاولة لتفسيرها أو إزالة ما فيها من صعوبة تثير اعتراض غير المؤمنين.

٥- تمسك المسيحيون منذ البداءة بهذه الحقائق مع أنها تفوق الادراك البشرى، وقدموا حياتهم للاضطهاد، والعذاب، والموت من أجلها. فهل يعقل أن يكونوا قد فعلوا ذلك فى سبيل أقوال قد زوروها.

٦- توجد بعض اختلافات لفظية فى الأناجيل، فلو كان قد حدث فيه تحريف أما كانت أزيلت تلك الاختلافات؟

٧- حاول الشيطان إبادة العهد القديم وحرقه قبل المسيح، كما حاول إخفاء العهد الجديد وإبادته فى العصور المظلمة، ولكن الله حرص على صون كتابه ليبقى لنا نقياً كاملاً لننهل منه ماء الحياة كما قال بطرس قديماً للمسيح «يا رب إلى من نذهب كلام الحياة الأبدية عندك» (يوحنا ٦: ٦٨).

أما ما تجده فى الكتاب من صعوبات لا تستطيع فهمها فصلِ للرب طالباً منه أن يكشفها لك، ويريحك من جهتها، فهو «سامع الصلاة».

وإنى أطلب من الله بكل قلبى أن يستخدم هذا الكتيب لإراحة أفكار الكثيرين، واقتيادهم إلى معرفة الله، والتجاوب مع محبته الفائقة.

ولإلهنا كل المجد.... آمين.

اقرأ أيضاً

من هذه السلسلة

- حقائق عن

الله

- حقائق عن

المسيح

رقم الإيداع بدار الكتب: ١٤١٨٤/ ٩٧
الترقيم الدولى: ISBN 977-50-60-69-9

طبعت بمطبعة الإخوة بجزيرة بران

تطلب من مكتبة الإخوة
٣ش أنجه هانم - شبرا - مصر
وفروعها والمكتبات المسيحية الكبرى

هذا الكتاب يتناول باختصار

٥ حقائق هامة عن الإيمان المسيحي

بإجابته على الأسئلة التالية:

١ الله، واحد أم ثلاثة؟

٢ ما معنى أن المسيح «ابن الله»؟

٣ هل كان المسيح مجرد نبي؟

٤ ماذا عن قضية الصليب؟

٥ هل الكتاب المقدس هو كلمة الله؟

